تابع الشيطان

برنارد شو

بتعريب

محمد كامل التجانى





G. Bernard Shaw

چورج برنارد شو

مقدمة

لقد ارتفع جورج برنارد شو إلى مصاف الكتاب العظماء الذين سيخلد أسماءهم التاريخ بأحرف من نور ، أمثال شكسبير وجيته وهوجو وغيرهم . وأصبح اسمه معروفا فى جميع أنحاء العالم ، ويكفى أن تكتب الحروف G.B.S. حتى يعرف الذى يقرؤها من المقصود بها .

ولا ترجع شهرة برنارد شو إلى وفرة ما أنتج من قصص وروايات وكتب فقط ، ولكن إلى فلسفته العميقة التى يدخلها فى ثنايا تلك المؤلفات ، والتى تتميز بالثورة على المجتمع وتقاليده ، والتهكم على نظمه ومناهجه . ولقد قال مرة فى ذلك : « إننى أكتب لكى أخلق شعبا جديدا بآرائى وأفكارى التى أبثها قصصى وكتاباتى » .

ولد هذا الكاتب العظيم فى دبلن عاصمة أيرلندا سنة ١٨٥٦ وهجر بلدته إلى انجلترا وهو فى العشرين من عمره ، واستقر فيها يعمل كناقد فى الجرائد والمجلات ، ثم بدأ يؤلف الروايات والكتب وقد أنتج منها ما يزيد على الستين . و بالرغم من شيخوخته

(إذ هو الآن فى الثانية والثمانين) فلا يزال نشطا فى عقله ، ولا تزال مؤلفاته تظهر خصيبة بالمعانى ، مليئة بالحكمة والآراء السامية ، ولا تزال الناس تزلف إليه طامعين فى كلمة يكتبها ، أو زيارة يشرفهم بها ، بل لقد طلبت إليه منذ بضع سنوات سيدة أمريكية أن ينزل ضيفا عليها فى بلادها لمدة أسبوعين ، وتتقدم فى سبيل ذلك خمسة آلاف من الجنيهات ، فرفض هذا العرض الجميل . وأكثر من هذا ، ذلك الرجاء الذى تقدمت إليه به مغنية فرنسية شهيرة بجمالها ، أن يتزوجها حتى ينجبا للعالم طفلا يأخذ عنها رائع حسنها ، ويرثه فى رجاحة عقله وكبير ذكائه ، وبذلك يرتقى فوق المستوى العادى للبشر . فرفض شو هذا الرجاء قائلا « إنى أخشى أن يأخذ الطفل منى خلقتى ، ويأخذ عنك عقلك ، فنكون بذلك قد أخرجنا للحياة قردا حقيرا شاذا » .

ولقد رفض شو أن يحلى اسمه بلقب ، أو يزين صدره وسام ، كما رفض كل الدرجات العلمية الفخرية التى تقدمت إليه بها بعض الجامعات العلمية . ولذلك فلا يزال اسمه للآن « مستر شو » .

وفى سنة ١٩٢٦ مُنح برناردشو جائزة « نوبل » فى الآداب وبلغت حينذاك سبعة آلاف جنيها تبرع بها لجمعية سويدية إنجليزية للاستعانة بها فى نشر الأدب السويدى فى انجلترا

ومن أولى الروايات التي كتبها برناد شو وأقواها ، رواية « تابع الشيطان » . وهي تدور حول الثورة التاريخية المجيدة التي تخلصت بها أمريكا من نير الاستعمار ، وأصبحت بعد ذلك من أخطر دول العالم ، ولقد رسم فيها الكاتب العظيم صوراً مختلفة من الناس ، وألواناً متباينة من الطباع، وتعمق في التصوير حتى استطاع لا أن يصف الجسوم والمظاهر فقط ، بل أن يتغلغل إلى القلوب والأفئدة ، فيعبر عن مكنوناتها بقلم رائع وأسلوب أخاذ .

وإني إذ أتقدم بهذه الرواية بعد تعريبها ، أرجو أن أكون قد وفقت إلى صوغها في نفس الشكل الذي وضعها فيه الكاتب الايرلندي العظيم .

١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٨ — محمد كامل النحاس

أشخاص الرواية بحسب ترتيب ظهورهم

مسز دادجن (Mrs. Dudgeon)	أمرأة فى الخمسين من عمرها
إسى (Essie)	فتاة فى السادسة عشرة
كريستى (Christy)	فتى فى الثانية والعشرين . ابن مسز دادجن
أنتونى أندرسن (Anthony Anderson)	قسيس فى الخمسين من عمره
جوديث (Judith)	زوجة القسيس فى الثلاثين من عمرها
هوكنز (Hawkins)	محامى . متوسط العمر
وليم دادجن (William Dudgeon)	العم الاكبر لريشارد وكريستى
تيتس (Titus)	العم الاصغر لريشارد وكريستى
زوجة وليم وزوجة تيتس	زوجتا عم ريشارد وكريستى
ريشارد (Richard)	الابن الاكبر لمسز دادجن حوالى الثلاثين
جاويش و بعض الجنود	بعض من أفراد الجيش الانجليزى
سوندن (Swindon)	ماجور فى الجيش الإنجليزى حوالى الخمسة والاربعين
برجوين (Burgoyne)	جنرال فى الجيش حوالى الخامسة والخمسين

بعض الضباط فى الجيش الانجليزى (عدد منهم ألمانيون)

فرقة موسيقى فى الجيش الانجليزى

بردنل (Brudenell)	قسيس فى الجيش الانجليزى

أفراد كثيرون من الشعب الأمريكى

فرقة موسيقى من الشعب الأمريكى

الفصل الأول

فى سحرة عابسة إثر ليل مظلم وقرب صباح شتائى عام ١٧٧٧ ، تجلس مسز دادجن ، من همبتشير الجديدة ، فى المطبخ الذى هو أيضا بمثابة حجرة الاستقبال من منزلها الريفى الكائن فى ضواحى بلدة وستر برذج . وهى ليست بالمرأة الجذابة . وهل يمكن أن تبدو امرأة سهرت الليل كله فى أحسن مظهرها ؟ على أن وجهها حتى حين يكون أحسنه ، مخطط بالتجاعيد الكثيرة التى تدل على ما أورثت الجمود الدارس صاحبته من مزاج حاد ، وكبرياء قاس .

وهى امرأة متقدمة فى السن . أجهدت نفسها ولم تجن من ذلك إلا أن تكون حاكمة مكروهة فى منزلها الوضيع ، و إلا أن تكون ذائعة الشهرة بالصلاح : متمتعة لذلك باحترام جيرانها الذين كانوا لا يزالون ينقادون لسلطان الخمر وعوامل الشر ، أكثر من انقيادهم لسلطان الدين وعوامل الخير ، حتى إنهم كانوا لا يرون فى الصلاح إلا حرمان النفس من لذات الحياة ، وكذلك

حرمان الآخرين منها . وقد كان هذا الرأى يمتد حتى يشمل كل شيء متعب غير سار[1] .

ولأن مسز دادجين امرأة متعبة لا تبتسم ، اعتقد الناس أنها صالحة تقية . وبذلك تمتعت بحرية كاملة فى أن تأتى ما تشاء من الأخطاء ، إلا أن ترتكب آثاما عظاما ، أو أن تظهر شفقة أو عطفا[2] . ومن ثم ، كانت هذه المرأة على غير علم منها ، أكثر الناس حرية فى الكنيسة ، لأنها لم تخل مطلقا بالوصية السابعة[3] ولم تتغيب عن الكنيسة فى يوم أحد .

وفى سنة ١٧٧٧ اهتاجت النفوس وغلت المواطف إلى حد التراس بالرصاص . وكان سبب ذلك جنوح المستعمرات الأمريكية إلى الانفصال من إنجلترا ، يحفزها إلى ذلك شعورها بالقوة أكثر مما تحفزها الرغبة فى الانفصال . وكان العقل الإنجليزى

---

(١) يعنى المؤلف أن الشخص الذى يعمل على حرمان الآخرين من التمتع بملذات الحياة يكون شخصا صالحا ، وفى الوقت نفسه هو متعب غير مريح . هذا نوع من تهكمات المؤلف على بعض الآراء وبرنارد شو خير من يصوغ هذه التهكمات .

(٢) الشخص الشفيق العطوف لا يكون متعبا وبذلك لا يكون صالحا تبعا للرأى المذكور آنفا فى الصلاح .

(٣) إحدى الوصايا العشر وهى « لا ترتكب الزناء » .

يبرر نشوب هذه الحرب بأن فيهما قمعا للثورة ومحافظــة على المستعمرات البريطانية ، على حين كان يرى الأمريكي فيها دفاعا عن الحرية ومقاومة الظلم ، وتضحية بالنفس قربانا لحقوق الإنسان . . وليس من الضرورى أن نوازن بين هذه المبررات ، بل يكفى أن نقول فى غير ما تحيُّز ، إنها جعلت كلا من الفريقين ، الإنجليزى والأمريكى يرى أن أقوم سبيل يسلكه ، هو ما يؤدى به إلى أن يقتل من صفوف أعدائه أكثر ما يستطيع . ويمكن أن نذكر أيضا أن الأعمال الحربية التى توصل إلى هذه الغاية ، كانت قائمة على قدم وساق . ويؤيد كل فريق من الجهة الروحانية دعوات قسسه ، بأن يبارك الله فى جيشه ، وأن يجعل النصر حليفه .

وفى مثل هذه الظروف العصيبة تقطع كثيرات من النساء الليل سهرا فى انتظار الأخبار كما تقطعه مسز دادجين العابسة ويهدأن فى النوم ، كما تبدأ هى ، عند الصباح ، مخاطرات برؤوسهن أمام مداقه المطابخ . . تنام مسز دادجين وعلى رأسها خمار ، وقدماها ممدودتان على سور عريض يحمله قضبان من الحديد ، وهو بمثابة مكان القربان المنزلى للمدفأة ذات الرفوف الواسعة ، والمرجل الهائل ؛ والمقبض المتحرك فوق الرف الساخن المعدّ للتقديد . وعند مرفقها تقع منضدة المطبخ البسيطة ، المواجهة

المدفأة ، وعليها شمعة قائمة فى شمعدان من القصدير . والمقعد الذى تجلس عليه مسز دادجين كشكل مقاعد الحجرة ، غير مظلل وليس به مسند ، ولكن لأن ظهره متحرك ومستدير ، وقاعدته مهيأة لتلائم تقوسات الجالس ، فيمكن أن نعتبره كرسيا مريحا بعض الراحة .

وللحجرة ثلاثة أبواب : أحدها فى نفس الجانب الذى به المدفأة قريباً من الركن ، وهو يوصل إلى محل الطهى ومكان الغسل ، ويقع باب المنزل بزلاجه ، وقفله الثقيل ، وقضيبه الخشبى غير المنتظم ، فى الحائط الأمامى ، بين النافذة الواقعة فى منتصف الحائط ، والركن الذى يلى باب حجرة النوم . ويتبيّن للرائى المدقق إذا لاحظ المشجب الواقع بين النافذة وباب المنزل ، أن جميع السكان من الرجال فى الخارج ، إذ ليس على أوتاده قبعات أو سترات . ويوجد على الجانب الآخر من النافذة ساعة معلقة من مسمار بمينا خشبية بيضاء ، وأثقال حديدية سوداء ، وبندول نحاسى . ويوجد بين الساعة والركن صوان كبير مغلق ، فوق صوان قصير ، مملوء بالأوانى الصينية العادية . ويوجد فى الجانب المواجه للمدفأة ، بين الباب والركن أريكة قبيحة المنظر ، مصنوعة من شعر الخيل الأسود ، ومستندة إلى الحائط . وبتأمل

سطحها ذى الصرير المزعج يمكن معرفة أن مسز دادجين ليست وحيدة فى الحجرة ؛ إذ قد نامت عليها فتاة فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمرها ؛ وهى مخلوقة خَفِرة مُتَبَدِّية ، ذات شعر أسود، وبشرة سمراء ، وحولها ليس إلا جلبابا بسيطاً ممزقاً ، فيه بقع من تأثير الجو ، وبقع من تأثير الطلام ، فهو ليس من النظافة فى شىء . وهو معلق فوقها بشكل لو لوحظ معه ساقاها السمراوان وقدماها الحافيان ، فدل ذلك على أن ملابسها الداخلية ليست كثيرة .

يُسمع فجأة قرع خفيف على الباب ، ليست شدته بحيث توقظ النائمين . ثم قرع أشد ، يزعج مسز دادجين قليلا . وأخيراً يُعالَجَ المزلاج ، فتثب واقفة فى الحال .

مسز دادجين : (مهددة) عجباً ، لماذا لا تفتحين الباب ؟ (تلاحظ أن البنت نائمة وفى الحال تسمع منها أصوات تدل على الضايق) . عجباً ، يا إلهى يا إلهى ! هنا . . . (تهز البنت) قومى ، قومى : أتسمعين ؟

البنت : (تجلس) ماذا ؟

مسز دادجين : قومى ، واخجلى من نفسك ، أيتها البنت المجرمة عديمة الإحساس ، تنامين هكذا ، بينما أن أباك

لم يبرد جسده بعد في قبره .

البنت : (بين النوم واليقظة) أنا لم أقصد هذا . أنا نمت ...

مسز دادجين : (هاتفة) أه نعم . أظن ، أن فيك أصنافا كثيرة . نمت ! (قسوة عندما يبدأ القرع ثانية) لماذا لاتقومين وتفتحين الباب لسمك ؟ بعد أن سهرت أنا الليل طوله من أجله ! (تدفعها بعنف بعيدا من الأريكة) هيه : سأفتح أنا الباب : لافائدة من انتظارك . اذهبي وأصلحي النار قليلا .

(تذهب البنت ، منحنية ذليلة ، إلى المدفأة وتضع قطعة خشب فيها . تحرك مسز دادجين المزلاج وتفتح الباب ، فيدخل في المطبخ الداخن بعض هواء الفجر المنعش ، وكثير من برودته ، وأيضا ابنها الثاني « كريستي » ، وهو فتى عبي ، يناهز الثانية والعشرين من عمره ، أقرب للستة ، بشعر أصفر ، ووجه مستدير ، وملفع بكوفيته عنقه ، ومرتد معطفا رماديا . يجيء مسرعة ، وهو يرتعد ، نحو النار ، تاركا مسز دادجين لتغلق الباب .

كريستي : (عند المدفأة) أف — ف — ف ! الدنيا برد (يرى البنت ليحملق فيها ببلاهة) ماذا ، من أنت ؟

البنت : (في حياء) إيلي .

مسز دادجين : أوه ، لابد أن تسأل . (لـ إيلي) اذهبي إلى

غرفتك ، أيتها الطفلة ، وتناى مادمت لاتعوزين
من الإحساس القدر الذى يمنعك عن النوم.
إن تاريخك لايلائم حتى أذنيك لتسمعه .

إلسى : أنا . . . .

مسز دادجن : (غاضبة) لاتجيبينى أيتها البنت ، ولكن أظهرى
طاعتك بأن تعملى ماأخبرك به (تجوز إلسى الترفه ، والدموع تكاد تنهمر من عينيها ، إلى الباب القريب من الأريكة) ولاتنسى أن تصلى (تخرج إلسى) .
إنها كادت تنام الليلة الماضية ، كأن لم يحدث
شىء ، لو لم أمنعها من ذلك .

كريستى : (فى بله) حسنا ، لاينتظر منها أن يؤثر فيها
موت عمى بيتر كما لو كانت فردا من العائلة .

مسز دادجن : ماذا تهذى به أيها الطفل ؟ أليست هى ابنته ...
نتيجة فسقه ودعارته ؟ (تجلس بعنف على كرسيها)

كريستى : (لها) ابنة عمى بيتر !

مسز دادجن : لأى سبب آخر ترى أنها هنا إذن ؟ أتظن أنه
لم يصبنى الكفاية من البنه والتعب فى تربية

بنانى ، علاوة على تربيتك وتربية أخيك الخائب ،
حتى يكون عندى أولاد السفاح من عملك .

كريستى : (مقاطعا إياها وملقيا نظرة ذات معنى نحو الباب الذى خرجت منه إمى) إش ! ربما تسمعك .

مسز دادجين : (رافعة صوتها) دعها تسمعنى . إن من يخشى الله لا يخاف أن يسمى أعمال الشر بما تستحق من الأسماء . (يحملق كريستى ، الذى لايهمه الفرق بين الخير والشر بل النار ، ويملؤه شده) عجبا ، إلى م تظل محملقا هكذا كالخنزير المربوط ؟ ما هى الأخبار التى أتيت بها إلى ؟

كريستى : (يخلع قبعته وكوفيته ، ويذهب الشجب ليعلقهما) سيأتيك القسيس بالأخبار . سوف يكون هنا حالا .

مسز دادجين : أى أخبار ؟

كريستى : (يقف على أطراف أصابعه ، بحكم عادة تعودها من صغره ، ليعلق قبعته على المشجب ولو أن طوله كان يجعله يصل إليه ، ويتكلم بهدوء عجيب لايتفق مع طبيعة الخبر) أيضا أبى قد مات .

مسز دادجن : (مصعوقة) أبوك !

كريستى : يرجع بكل برود إلى النار ، ويدفىء نفسه ثانية ، ويتجه للنار ، أكثر من إنتباهه لأمه) نعم ، ليس هناك شيء .
عندما وصلنا إلى نيفينستون ، وجدناه مريضا طريح الفراش . لم يعرفنا فى مبدأ الأمر . ومكث معه القسيس بعد أن طلب إلىّ أن أخرج . ثم قضى نحبه فى الليل .

مسز دادجن : (تبكى فى غضب ومرارة من غير ما دموع) .
واحسرتاه ، إن هذا شديد علىّ — شديد جداً علىّ . أخوه ، الذى كان عاراً علينا جميعا طول حياته ، يُشنق علنا كثائر ، وأبوك بدلا من أن يمكث مع عائلته هنا ، حيث يقضى الواجبعليه بنفسه ، يذهب وراءه و يموت ، تاركا كل شىء على عاتقى . و بعدأن يرسل إلىّ أيضا هذه البنت لأقوم بأمرها . (تضع خارها بعنف وإهمال على أذنيها) إنها الجريرة ، هى كذلك : جريرة بكل ما فى الكلمة من معنى .

كريستى : (مدبرة، وبانشراح يظهر تبرمه، وفى غباوة) على كل حال ، أظن أن الصباح سيكون جميلا .

مسز دادجن : (ساخطة عليه) صباح جميل ! وأبوك ميت حديثا ! أين إحساسك أيها الطفل ؟

كريستى : (ساهداً) أنا لم أقصد سوءاً . أظن أن الرجل يمكنه أن يبدى رأيه فى الجو حتى لو كان أبوه ميتا .

مسز دادجن : (بمرارة) كم هى جميلة مواساة ولدى لى ! ولد أبله ، وآخر آثم شريد ، ترك منزله ليعيش مع المهربين والفجر والمفسدين ، حثالة الناس

(يدق الباب) .

كريستى : (مسوق أن يمر) هذا هو القسيس .

مسز دادجن : (بحدة) عجبا ، ألست ذاهبا لكى تفتح الباب لمستر أندرسن ؟

(يذهب كريستى نحو الباب بفتور . وتمسك مسز دادجن وجهها بيديها ، إذ الواجب عليها كأرملة أن يعلوها الحزن ويعلو عليها الأسى . يفتح كريستى الباب، ويدخل القسيس أنتونى أندرسن ، وهو رجل مرح ، ذكى ، له ميل نحو العزف الكنيسة ، ناهز الخمسين من عمره ، ويظهر عليه شيء من قوة سمته ، ومن نفوذ روحي ، ترينه طباع كريمة

عكس النفوس ! بيد أنها لاتدل مطلقا على حياة روحانية بالمعنى الصحيح . هو رجل قوى ، وسليم أيضا ، له رقبة سميكة يكاد ينفجر منها الدم . وشفتاه الرفيعتان الرحطان تتبيان بزاويتين ملوءتين لها . لاشك أنه قسيس قدير ، ولكنه مع ذلك أميل لأن يتمتع ويشم بأكثر ما فى الحياة هنا ، ولربما هو بشر، وفى الوقت نفسه يعثر عن شعوره ، بأنه سعيد فيها أكثر مما ينبغى لقسيس كنيسة).

أندرسن : (إلى كريستى، عند الباب ، ناظرا إلى مسز دادجين بينما يخلع معطفه) هل أخبرتها ؟

كريستى : لقد أرغمتنى على ذلك (يغلق الباب متثائبا ويذهب نحو الأريكة ويجلس عليها ثم ينام فى الحال)

(ينظر أندرسن نحو مسز دادجين مشفقا ، ثم يعلق معطفه وقبعته . تتكلف مسز دادجين دموعها وتنظر إليه)

أندرسن : أيتها الأخت : لقد أثقل الرب عليك الهموم .

مسز دادجين : (مظهرة تمييها فى غضب) أظن ، أنهـا إرادته ، ويجب أن أنحنى أمامها . لكنى مع ذلك أرى الحادث شديداً . لماذا ذهب تيموثى إلى ستيرجتون فيذكر كل إنسان أنه قريب لرجل يشنق ؟ — وهو (بحنق) يستحق ذلك ، لو أن هناك من يستحق الشنق .

أندرسن : (برفق) لقد كانا شقيقين ، يا مسز دادجين .

مسز دادجين : لم يعترف تيموثي بأخوّته بعد أن تزوجنا : لقد كان
يُخجلُ كثيراً حتى أنه لم يشأ أن يبتلى بالاعتراف
بمثل ذلك الأخ . هل تظن أن شريراً أنانيا مثل
بيتر كان يسافر ثلاثين ميلا ليرى تيموثي يُشنق ؟
لا ، ولا ثلاثين ياردة ، ليس هو من يفعل ذلك .
مع هذا ، يجب أن أكون تقية ما استطعت :
إن ما يقل الكلام فيه يكون أسرع للإصلاح .

أندرسن : (جديا جدا ، يأتي نحو المدفأة ويقف وظهره للنار) لقد
حضر ابنك الأكبر الإعدام ، يامسز دادجين .

مسز دادجين : (بدهشة وعدم ارتياح) ريشارد ؟

أندرسن : (مومئا برأسه) أجل .

مسز دادجين : (بجموة الانتقام) ليكن هذا تحذيراً له . فربما تكون
آخرته مثل ذلك ، الشرير ، الفاسد ، الكافر —
(تقف فجأة عن الكلام ، يخونها صوتها ، وتسأل بخوف
ظاهر) هل رآه تيموثي ؟

أندرسن : أجل .

مسز دادجين : (تولت عنها) نعم ؟

أندرسن : لقد رآه فقط في الزحام : ولكنهما لم يتكالما

(تظهر مسز دادجن ارتياحاً كبيراً لذلك وتخرج عنها العبوس ثم تأخذ راحتها في الجلوس) لقد أثر في زوجك كثيراً الموت الفظيع الذي لاقاه أخوه.
(تسخر مسز دادجن . يبكت أندرسن تهيأنق كبرياءه)
عجباً ، ألم يكن هذا طبيعياً يامسز دادجن ؟ لقد رقّ قلبه نحو ابنه المسرف في تلك اللحظة فأرسل إليه ليراه .

مسز دادجن : (وقد تجدد خوفها) أرسل إلى ريشارد ؟

أندرسن : أجل ، ولكن ريشارد لم يشأ أن يحضر . وأرسل إلى أبيه كلمة — آسف أن أقول إنها كلمة بغيضة .

مسز دادجن : ماذا كانت ؟

أندرسن : إنه سيقف بجانب عمه الفاسد ، وضد والديه الصالحين ، في هذه الدنيا وفي الآخرة .

مسز دادجن : (محنقة) سوف يُعاقَب على ذلك سوف يعاقب على ذلك — في الدارين .

أندرسن : ليس هذا في مقدورنا يامسز دادجن .

مسز دادجن : وهل أنا قلت ذلك ، يامستر أندرسن ؟ يقال لنا إن الفاسدين سوف يعاقبون . لماذا نقوم بأداء

واجباتنا ونرعى شرائع الرب إذا لم يكن هناك
فرق بيلنا و بين من يتبعون أهوائهم وشهواتهم ،
ثم يهزئون بنا و بكلمة خالقهم ؟

أندرسن : لقد كان أبو ريشارد رحيما به ؟ وقاضيه السماوى
هو أبونا جميعاً .

مسز دادجن : (وقد نسيت نفسها) لقد كانت نفس أبى ريشارد
ضعيفة ورخوة . . .

أندرسن : (مندهشا) أوه !

مسز دادجن : (خجلة بعض الشيء) حسنا . أنا أم ريشارد . إذا
كنت أقف ضده ، فمن يكون له الحق فى أن يقف
بجانبه ؟ (تحاول ارضاءه) ألا تجلس يامستر
أندرسن ؟ كان من الواجب أن أسألك ذلك من
قبل ، ولكننى مرتبكة جداً .

أندرسن : أشكرك (يأخذ كرسيا من جانب المدفأة ويديره بحيث
يتمكن من الجلوس عليه براحة قرب النار . وعندما يجلس
يقول فى نغمة الرجل الذى يعرف أنه يفتح حديثا فى
موضوع دقيق) هل أخبرك كريستى بالوصية
الجديدة ؟

مسز دادچن : (ترجع اليها كل عاونها) الوصية الجديدة ! !

تيموثى — ؟ (تسكت ، آخذة نفسها ، غير قادرة على أن تتم سؤالها)

أندرسن : أجل . لقد غير رأيه فى ساعته الأخيرة .

مسز دادچن : (صفراء من الغضب) وهل تَرَكْتَهُ يسرقنى ؟

أندرسن : لم يكن فى استطاعتى أن أمنعه من أن يعطى ما يملك لابنه هو .

مسز دادچن : لم يكن يملك شيئا . إن ماله كان المبلغ الذى أعطيته إياه مهرا فى زواجى . لقد كان لى الحق فى أن أفعل ما أشاء بمالى وبابنى . وما كان هو ليجسر أن يفعل ما فعل لو كنت أنا معه . لقد كان يعرف ذلك جيداً . لذلك انسل كاللص ليستغل القانون فى سرقتى بعمل وصية جديدة وراء ظهرى . والعار الأكبر عليك يا مستر أندرسن — أنت قسيس الرب ، تكون شريكه فى هذه الجناية .

أندرسن : (واقفا) أنا لن أستاء مما تقولين وأنت فى بداية آلامك وأحزانك .

مسز دادچن : (بازدراء) أحزان !

أندرسن : كذلك إذن ، إن كنت تجدين فى قلبك أن هذه الكلمة هى الأوفق .

مسز دادچن : قلبى ! قلبى ! أتوسل إليك ، أن تخبرنى منذ متى بدأت تعتقد أن قلوبنا هى المرشدة لنا، والتى يمكن الوثوق بها .

أندرسن : (كمن يشعر بدايه) أنا — !!

مسز دادچن : (بازدراء عظيم) لا تكذب ، ياستر أندرسن . يقولون لنا إن قلب الإنسان خداع بالرغم من كل شىء، وفاسد جدا . لم يكن قلبى ، تابعا لتيموثى ، ولكن لأخيه البائس المسكين الذى ختم أيامه بحبل حول عنقه — أجل ، لبيتر دادچن . أنت تعرف ذلك : لقد أخبرك به العجوز إلى هُوكِنزْ ، الرجل الذى ورثت منصبه ، ولو أنك لست أهلا حتى لأن تفك رباط حذائه ، أخبرك بذلك عندما أسلمك نفوسنا لتتعهدها . لقد حذرنى وقوانى ضد قلبى ، وجعلنى أتزوج رجلا يخاف الرب — كما اعتقد هو، وأى شىء

سوى هذا أصبحت من أجله المرأة التى تراها .
وأنت ، أنت الذى سرت وراء قلبك فى زواجك ، أنت تتحدث إلىّ بما أجده فى قلبى .
اذهب إلى منزلك ، لزوجتك الحسناء ، أيها الرجل ، واتركنى لصلواتى .

(تشيح عنه بوجهها وترتكن بمرفقيها على المنضدة ، تصلى وتستغفر غير منتبهة إليه)

أندرسن : (يود الهروب) لا قدّر الله أن أضع نفسى حائلا بينك و بينّ مصدر راحتك ! (يذهب إلى الشباك ليأخذ معطفه وقبعته)

مسز دادجين : (بدون أن تنظر إليه) الله يعلم ماذا ينهى عنه وماذا يأمر به بدون مساعدة منك

أندرسن : أرجو — ومن يغفر له ، إلى هو كنتز وأنا ، إذا كنا قد وعظنا ضد شريعته (يربط معطفه وبنيك يكون مستعدا للخروج) فقط كلمة واحدة — عن عمل ضرورى ، يامسز دادجين . من الواجب أن يُخْرَجَ من قراءة الوصيـة ، وريتشارد له حق الحضـور . هو فى البلدة ؛ ولكن لديه من الذوق مايجعله يقول بأنه لايريد أن يدخل بالقوة هنا .

مسز دادجين : دعه يأتى هنا . هل ينتظر منذ أن ترك منزل أبيه لرضاته ؟ دعهم كلهم يأتون ويأتون بسرعة ، ويذهبون بسرعة . إنهم لن يجعلوا الوصية سبباً فى أن يعتذروا عن أعمالهم نصف يوم . سأكون مستعدة تمام الاستعداد .

أندرسن : (يرجع خطوة أو خطوتين) مسز دادجين : لقد كان لى بعض التأثير عليك . متى فقدت هذا التأثير ؟

مسز دادجين : (بدون أن تلتفت إليه) عند ما تزوجتَ عن حب . الآن قد وقفتَ على السبب .

أندرسن : أجل : قد عرفتُ السبب . (يخرج ، مفكرا)

مسز دادجين : (إلى نفسها وهى تفكر فى زوجها) لص ! لص ! !

(تقوم متنفضة عاصفة ، وترمى بالخمار من فوق رأسها إلى الخلف ؛ وتعمل على إعداد الحجرة لقراءة الوصية ، بادئة بوضع الكرسى الذى كان يجلس عليه أندرسن مكانه بجانب الحائط ، وتدفع كرسيها هى نحو النافذة . ثم تنادى كعادتها شدة وغضب) كريستى .

(لا يجيب . هو نائم نوما عميقاً) كريستى . (تهزه بعنف) قم عن الأريكة واخجل من نفسك — تنام ، وأبوك ميت ! (ترجع إلى المنضدة وتضع الشمعة على الرف ؛ ثم تخرج من درج المنضدة غطاء أحمر تنشره عليها) .

كريستى : (بعزم متباطئ) عجباً ، هل تظنين أننا لن ننام حتى ينتهى حزننا ؟

مسز دادجين : قف لسانك من هذه التهكمات . هنا : ساعدنى بهذه المنضدة (يضعان المنضدة وسط الحجرة ويكون كريستى فى الطرف القريب من النار ومسز دادجين ناحية الأريكة . يرى كريستى بالمنضدة سريعا ، ويذهب إلى المدفأة ، تاركا أمه لتقوم بباقى الترتيبات الخاصة بوضع المنضدة) . سيرجع القسيس ثانية هنا مع المحامى وجميع أفراد العائلة ليقرءوا الوصية قبل أن تحصر بدنك . إذهب وأيقظ تلك البنت ؛ ثم أشعل الموقد : لا يمكنك أن تتناول إفطارك هنا . ولا تنس أن تتغسل ، وتُعدّ نفسك كى تكون مهيئاً لاستقبال الجماعة . (تعطى هذه الأوامر للقطة بينما تذهب إلى الصوان ، وتفتحه ؛ وتخرج منه دورقا من النبيذ ، يظهر أنه لم يمس منذ آخر اجتماع عائلى ، وبعض كؤوس ، ترتبها على المنضدة . ثم طبقين أحمرين ، تضع فى أحدهما كعكة وبجانبه سكين . وتضع فى الآخر بعض قطع البسكوت من علبة ، معيدة فيها قطعة أو اثنتين ، ثم تعد الباقى) والآن إعرف أن هناك عشرة بسكوتات ، فلتكن عشرة بسكوتات تماما عندما أرجع بعد أن

أغير ملابسي . وأبعد أصابعك عن زبيب هذه الكعكة واخبر إبي بذلك . أظن أنه يمكنني أن أثق بك في إحضار علبة الطائرين المحشوين من غير أن تكسر زجاجها ؟ (تضع علبة البسكويت في الصوان ، ثم تغلقه وتضع المفاتيح في جيبها باعتناء)

كريستي : (وقد بقي بجانب المدفأة) الأحسن أن تضعي الجيرة المحاى ، بدلا من ذلك .

مسز دادجن : ليس هذا جوابا ترد به عليّ ياولد . إذهب واعمل كما أمرتك (يحول كريستي بازدراء ليطيع الأوامر) قف : أنزل الشباك قبل أن تذهب ودع ضوء النهار يدخل : لاتنتظر مني أن أقوم بأشغال المنزل الكثيرة مع وجود حقير عاطل مثلك .

(يرفع كريستي القضيب الذي على النافذة ويضعه جانباً . ثم يفتح الشباك فيبين الصباح الرمادي . ترفع مسز دادجن الشمعدان من فوق الرف ، وتطفىء الشمعة ، ثم تحدد بصيصها بأصابعها بعد أن تكون قد بللتها لهذا الغرض ، وتضع الشمعدان ثانية على الرف)

كريستي : (ينظر خلال النافذة) ها هي زوجة القسيس .

مسز دادجن : (مستاءة) ماذا ! هل هي آتية هنا ؟

ريشى : نعم .

مسز دادجين : ماذا تريده من إزعاجي في هذه الساعة ، ولم أرتد بعد ما يليق باستقبال الناس ؟

كريستى : الأحسن أن تسأليها هي .

مسز دادجين : (مهددة) الأحسن أن تحتفظ بلسان مؤدب في فمك (يذهب متثاقلا نحو الباب . تأتى هى وراءه ، وتسكيل له التعليمات) . أخبر تلك البنت أن تحضر هنا بمجرد أن تنتهى من إفطارها . وأخبرها أن تهيء نفسها لأن تظهر أمام الناس . (يخرج كريستى دافعا الباب فى وجهها) أخلاق حسنة ، هذه ! (يسمع دق على باب المنزل : تلتفت وتصرخ غير مظهرة حس الضيافة) أدخل . (تدخل جوديث أندرسن ، زوجة القسيس . هى أصغر من زوجها بأكثر من عشرين عاما ، ولو أنها لن تكون أبدا شابة مثله فى النشاط . هى جميلة ومتدينة ومعتدة بالحق الصحيح ؛ وقد كانت دائما موضع إعجاب وتعزيز ، حتى أنها أصبحت متكبرة عن نفسها كافية لأن تجعلها دائمة الثقة بها ، وهذه الثقة بالنفس تجعلها أكثر من القوة . لها ذوق سليم فى الملبس ، وقد رسمت الأحلام فى وجهها خطوطا جميلة تنم عن رقة الإحساس ، وحتى إعجابها القليل بنفسها جميل ، مثل غرور الطفل . هى مخلوقة تثير عطف الرائى الشفيق الذى يعرف كيف أن الدنيا ميدان

غضب . ويظهر الامتنان ، بوجه عام أنه كان من المحتمل أن يختار أندرسن زوجة أقل منها درجات ، وأنها وهي في حاجة إلى رعاية ، لم تكن لتستطيع أن تختار أحسن منه) .
أه ، هو أنتِ يا مسز أندرسن ؟

جوديث : (يأدب جم) نعم . هل يمكنني أن أقوم بأي خدمة لك ، يامسز دادچن ؟ هل يمكنني أن أساعد في إعداد الحجرة قبل أن يحضروا لقراءة الوصية ؟

مسز دادچن : (بجمود) أشكرك ، يامسز أندرسن ، منزلي دائمًا على استعداد لأي إنسان يأتي إليه .

مسز أندرسن : (بحنو ورقة) نعم ، بكل تأكيد هو كذلك . ربما كنت تؤثرين عدم مجيء هنا الآن .

مسز دادچن : أوه ، واحد أكثر أو أقل لايحدث فرقًا كبيرًا هذا الصباح ، يامسز أندرسن . والآن وقد حضرت هنا ، فالأحسن أن تبقي إن كنت لاتمانعين في أن تغلقي الباب ! (تبتسم جوديث وكأنها تريد أن تقول «ما أقبلني في ذلك» ! وتغلق الباب بشكل جميل ودقيق على الرغم من شعورها بشيء من الغضب)
هذا أحسن . يجب أن أذهب لأعود نفسي قليلًا . أظن أنك لاتمانعين في البقاء هنا لاستقبال

من يحضر إلى أن أستعد .

جوديث : (بكل رشاقة تسمح لها بالذهاب) أه نعم ، بكل تأكيد . اتركى هذا لى ، ياسز دادجين ولا تعجلى

(تعلق معطفها وقلنسوتها على المشجب)

مسز دادجين : (حازمة بعض الشىء) ظننت أن هذا ربما يكون حائلا بينك و بين إعداد المنزل . (تدخل إسى) أه ، ها هو أنت ! (بشدة) تعالى هنا . دعينى أراك

(تذهب إسى إليها فى حين ، تمسكها مسز دادجين بعنف من ذراعها وتشدها مديرة إياها كى تفحص نتيجة محاولاتها فى تنظيف جسمها وترتيب هندامها ، وهى نتيجة تدل على مران قليل ، وثقة بالنفس أقل منه) إم ! أظن أن هذا هو ما تسمينه تنظفا جيدا لشعرك . من السهل أن يعرف أى إنسان من أنت وكيف نشأت

(تفتك ذراع البنت وتتكلم بهيبة أشد) الآن فلتسمع إلىّ ، ولتعملى كما أقول لك . أنت تجلسين هناك فى الركن بجانب النار ، وعندما تأتى الجماعة لا تجسرى على الكلام حتى يُتكلّم إليك ،

(تتسلل إسى إلى المدفأة) الأحسن أن يراك حائط أبيك ويعرفوا أنك هنا : هم ملزمون بإطعامك

كما أنا ملزمة . على كل حال فإنهما يقدّمون بعض
المساعدة . لكن لا تجعليني أسمع منك لفظا
ولا أراك تأخذين حريتك معهم ، كما لو كنت
في منزلتهم . أتسمعين ؟

إمى : نعم .

مسز دادچين : حسنا ، إذن . فاذهبي واعلى كما أخبرتك
(تجلس إمى في بؤس عند ركن المدفأة البعيد عن الباب)
لا تهتمي بها ، يامسز أندرسن . أنت تعرفين من هي
وماهي . إذا ضايقتك في شيء فأخبريني وأنا أعرف
كيف أصنع بها (تدخل مسز دادچين حجرة النوم
مغلقة الباب وراءها بشدة ، كأنما ترغم الباب بيدها على
أن يقوم بواجبه) .

چوديث : (تظهر العطف نحو إمى بينما ترتب الكعكة والفطير بشكل أرق
على المنضدة) يجب ألا تهتمي إذا كانت عمتك شديدة
معك . هي امرأة طيبة جداً ، وتود لك الخير أيضا .

إمى : (في بؤس وعدم اكتراث) نعم .

چوديث : (تظهر بعض الكدر من إمى لأنها لم تقبل منها مواساتها ،
ولم تقدر كلامها الممزوج بالعطف) أرجو ألا تكوني

شقية عنيدة يا إمى .

إمى : لا .

جوديث : إنك بنت طيبة ! (تضع مقعدين صغيرين للمنضدة بحيث يكون ظهر أحدهما للنافذة، شاعرة بارتياح لكونها أحسن تفكيراً في تدبير المنزل من مسز دادجين) هل تعرفين أحداً من أقارب والدك ؟

إمى : لا. إنهم لم يريدوا أن تكون لهم به أية علاقة : إنهم كانوا متدينين للغاية . كان أبى يتكلم عن ديك دادجين ، ولكنى لم أره قط .

جوديث : (مدهوشة كل الدهشة) ديك دادجين ! إمى : هل تودين أن تكونى حقيقة بنتا محترمة شاكرة ، وأن تجعلى لنفسك منزلة هنا بالخلق الرزين الجيد ؟

إمى : (بخجل قليل) نعم .

جوديث : إذن يجب ألا تذكرى اسم ريتشارد دادجين — لا ولا تفكرى فيه مطلقا . إنه رجل ضال .

إمى : ماذا فعل ؟

جوديث : يجب ألا تسألى عنه ، يا إمى . أنت صغيرة جداً فلا يمكنك أن تعرفى ماذا يكون الرجل الضال .

لـكن ديك مهرب ، وهو يعيش مع الغجر ، ولا يحب أمه ولا عائلته ، وهو أيضا يصارع ويلعب في في يوم الأحد بدلا من أن يذهب إلى الـكنيسة . أبدا لا تجعليه في مجلسك ما استطعت ، يا إمى . وحاولى أن تحفظى نفسك حتى لا تتلوث بالاحتكاك بأمثاله من الرجال .

إمى : نعم .

جوديث : (مستاءة ثانية) أنا أخشى أنك تقولين « نعم » أو « لا » ، بدون أن تفـكرى كثيرا .

إمى : نعم . على الأقل أعنى ....

جوديث : (بشدة) ماذا تعنين ؟

إمى : (تكاد تبكى) فقط — إن والدى كان مهربا ، و...
(يسمع قرع على الباب)

جوديث : إنهم بدأوا يحضرون . الآن تذكرى تعليمات زوجة عمك يا إمى ، وكونى بنتا طيبة . (ترجع كرسيى بالطالرين المحشوين تحت وعاء من الزجاج وبالمجمرة وبضع الجميع على المنضدة) صباح الخير ، يامستر داد جن . ألا تفتح الباب من فضلك ، قد حضر الناس .

كريستى : صباح الخير . (يفتح باب المنزل) .

(الصباح الآن وضاح ودافئ ؟ وأندرسن ، هو أول من
يدخل ، ويظهر أنه ترك معطفه فى المنزل . وفى صحبته
المحامى هوكنز ، وهو رجل متوسط السن ، نشيط ، يرتدى
جرموقا ذا لون بنى ، وسروالا قصيرا أصفر اللون ؟ يظهر
عليه أنه من الأعيان وأنه عالم بحق . يسمح له
ولأندرسن بالدخول فى المقدمة لأنهما يختلفان للمهن
الراقية ، ويتبعهما أفراد العائلة وعلى رأسهم العم الأكبر ،
وليم دادجين ، وهو رجل ضخم غير متناسق ، بارز
الجبهة ، أفطس الأنف ، تدل هيئته على أنه شره فى
أكله وشربه ، ولا تدل ملابسه ، كما لا تدل زوجته
القلقة ، على أنه ذو ثروة ؟ ثم العم الأصغر تيتس ، وهو
رجل قصير نحيف وسيم ، وزوجته ضخمة يظهر عليها علائم
الغنى ، وليس عليهما أثر الهموم البادية على وليم وزوجته .
يذهب هوكنز نشاط إلى المقدمة فى الحال ، ويأخذ
الكرسى الأقرب للأريكة ، ويجلس حيث ترك كريستى
الخبزة ، ويضع قبعته على الأرض بجانبه ثم يخرج الوصية .
يصحب العم وليم إلى المدفأة ، ويقف أمامها معقدا أطراف
سترته ، وتاركا زوجته وحيدة على الباب . يصحب العم
تيتس ، وهو الفرد الوحيد فى الأسرة التى يراعى الواجب
نحو السيدات ، ليتبعهما بأن يقدم لها ذراعه ، ويأتى بها
إلى الأريكة حيث يجلس متوسطا بينها وبين زوجته . يعلق
أندرسن قبعته ثم يتريث ليكلم جوديث كلمة) .

جوديث : ستحضر هنا حالا . أسألهم أن تنتظروا . (تعر

على باب حجرة النوم وعندما يسمع الرد من الداخل ، تفتح الباب وتدخل) .

أندرسن : (آخذا مكانه على المنضدة فى الطرف المقابل لهوكنز) أختنا المسكينة المصابة ستشكو منا بعد لحظة . هل السكر هنا ؟

كريستى : (عند باب المنزل ، وقد أغلقه حينئذ) السكر عند ديك . (إن البرود الذى ينادى به كريستى اسم الشريد يجرح الشعور الأدبى لأفراد الأسرة . يهز العم وليم رأسه ببطء وتكرار . لكن مسز تينس غضبا فى أعماقها وكأنها تتشنج . زوجها يتكلم) .

تينس : حسنا ، أرجو أن يكون عنده ذوق فلا يحضر . أرجو ذلك . (جميع الأسرة يزمجرون بالموافقة ، عدا كريستى الذى يذهب إلى النافذة حيث يقف ليطل منها . يبتسم هوكنز سرا كأنه يعرف شيئا ربما لو أحيطوا علما به لغيروا لهجتهم هذه من أجله . يظهر على أندرسن القلق ، إذ ليس من طبيعته أن يميل إلى الاجتماعات العائلية ، وخاصة الجارية منها . تظهر جوديث عند باب حجرة النوم) .

جوديث : (بجانبها ورقة) إخوانى ، مسز داجن . (تأخذ الكرسى بجانب المدفأة وتضعه لمسز داجن ، التى تأتى من حجرة النوم مرتدية ملابس الحداد ، وعلى عينيها منديل الجيب . الكل يقومون ، عدا إسى ، تخرج كل

من مسز وليم ومسز تيتس منديلا نظيفا وتبكيان .
اللحظة مؤثرة .

وليم : هل يخفف عنك ، ياأختى ، أن نبتهل لله بالصلاة ؟

تيتس : أو نُرتِّل ؟

أندرسن : (متسرعا) لقد كنت مع أختنا هذا الصباح ، ياأصدقائي . فلنسأل الرحمة في قلوبنا .

الكل عدا إمي : آمين .

(الكل يجلسون ، عدا جوديث ، التي تقف وراء كرسي مسز دادجن) .

جوديث : (إلى إمي) إمي : هل قلت آمين ؟

إمي : (في خوف) لا .

جوديث : إذن قوليها ، كالبنت الطيبة .

إمي : آمين

وليم : (مبتهجا) هذا حسن : هذا حسن . نحن نعرف من أنت ؛ ولكننا مستعدون لأن نكون شفيقين بك إذا كنت بتاليبه ، وبرهنت على أنك كفء لذلك . كلنا سواء أمام عرش الرحمن .

(هذه الروح الديموقراطية لا تسر السيدات ، اللواتي يحس بأن العرش هو المكان الذى سيكافأن أمامه على

حوص ، ولو أن هذا السمو لايقدره أحد في هذه الحياة الدنيا) .

كريستي : (عند النافذة) هاهو ديك .

(ينظر أندرسن وهوكنز حولهما بكياسة. ليلى ، وبريق من الشوق يتخلل بؤسها ، تنظر إلى أعلى. كريستي ينتظر عند الباب وهو يبتسم ويتثاءب . الباقون مسرورون وقد أصابتهم روح الفضيلة فيهم ، قرب قدوم الشلالي والقمر . يظهر الشق في الممر ، يكسبه ضوء الشمس جلالا أكثر مما هو أهل له . لا شك أنه أجمل أفراد الأسرة وجها . ولكنك لتقرأ فيه علائم التهكم ، وعدم المبالاة . وملابسه جميلة على الرغم من قلة عنايته به . ولثم جبهته وفمه على مقدار كبير من الرزانة؛ وأما عيناه فعينا رجل مهووس) .

ريشارد : (عند الباب ، خالعا قبعته) سيداتي وسادتي : خادمكم ، خادمكم الوضيع جدا (ينحنى الانحناءة الواضحة يرى نفسه إلى كريستي على هيئة تمثل الأخير شبه كمارس المرى الماثل إلى خت . يأتي ريشارد إلى وسط الحجرة ؛ حيث يلتقت متبعا أفراد العائلة بنظره) كم يدل مظهركم على السماحة ! كم أنتم فرحون لرؤيتي ! (يتحول نحو مقعد منز حادجين ، وترتجف شفته بشكل فظيع عندما يشاهد علائم البغض ظاهرة عليها) حسنا ، يا أمي : تهتمين بالظهور كعادتك ؟ هذا حسن ، هذا حسن . (تتجه جوديث فى غضب بعيدة عن جواره إلى الجانب الآخر من المطبخ ، ماسكة ثوبها

كأنها تبدده من دنس . يظهر العم تيني توا موافقته على فعلها بترك الأريكة ، وتقديمه كرسيا لتجلس عليه) ماذا ! عمى وليم ! لم أرك منذ أقلعت عن شرب الخمر . (العم وليم المسكين ، يشعر بالخجل ، ويود أن يحتج . ولكن ريشارد يحطه على كتفه ، مضيفا) لقد أقلعتَ عنها ، أليس كذلك ؟ (يرفع يده عنه دافعا إياه في مداعبة) طبعا فعلتَ : لقد أحسنت صنعا : إنك كنت تشربها بشراهة . (يبعد عن العم وليم ويتجه نحو الأريكة) والآن ، أين تاجر الخيل الصالح عمى تيتس ؟ عمى تيتس : تعال هنا . (يحمل إليه وقد أمسك بالكرسى بينما تجلس عليه جوديث) تخدم السيدات ، كعادتك !

تيتس : (بإتهام) اخجل من نفسك ياسيدى ...

ريشارد : (مقاطعا إياه وهو يحمله بعيدا بعيدا عنه) أنا كذلك : ولكني فخور بعمى ... فخور بكل أقاربي (يتجهم بنظرة ثانية) من ذا الذى يراهم ولا يشعر بالفخر والسعادة ؟ (يجلس تيتس متضجرا فى مكانه على الأريكة يلتفت ريشارد نحو المنضدة) . آه ، مستر أندرسن ، أنت دائما تسعى وراء الخير ، دائما

ترعاهم . اجتهد أن ترفههم ، أيها القسيس ، اجتهد أن ترفههم . هلمّ (يعثر ابيلس على المنضدة ويأخذ وعاء الخمر) اشرب كأسا معى أيها القسيس، لذكرى الأيام الماضية .

أندرسن : أظنك تعرف ، يامستر دادجن ، أننى لا أشرب قبل الغذاء

ريشارد : سوف تفعل هذا يوماً ما ، أيها القسيس : لقد كان عمى وليم يشرب الخمر قبل الإفطار . هلمّ : إنها لتكسب وعظك حماساً وتأثيراً . (يشمالنبيذويقطب) ولكن لا تبدأ بنبيذ أمى . لقد سرقت بعضه عندما كان لى من العمر ست سنوات . ومنذ ذلك الوقت أصبحت رجلا معتدلا فى الشراب (يضع الوعاء وينتقل من الموضوع) . لقد سمعت أنك متزوج ، أيها القسيس ، وأن زوجتك على جانب عظيم من الجمال .

أندرسن : (فى هدوء مشيرا إلى زوجته) سيدى : أنت فى حضرة زوجتى (تقوم جوديث وتقف فى أنفة وكبرياء)

ريشارد : (يترك المنضدة سرعة وفى أدب) خادمك ، ياسيدتى :

لا تتفضى : (ينظر إليها نظرة جدية) أنت أهل لهذه الشهرة ، لكنى آسف إذ أرى فى وجهك أنك امرأة تقية .

(تظهر على جوديث الدهشة ، وتجلس وسط أصوات التأسف والضجر من أقاربه . يظل أندرسن هادئا لايظهر عليه غضب ! إذ أنه بعقله الراجح ، يعرف أن مثل هذه المظاهرات من التأسف ، ترمى وتشجع الرجل الذى يحاول من قصد أن يسببها) مع ذلك فإنى أحترمك أيها القسيس أكثر مما كنت أفعل من قبل . بالمناسبة هل سمعتُ ، أم هل أخطأتُ السمع ، أن المرحوم المأسوف عليه هو بمثرة كذا أبا ، ولو أنه لم يتزوج ؟

تيتس : كان له بنت واحدة من سفاح ، ياسيدى .

ريشارد : واحدة فقط ! هو يظن أن واحدة شيء تافه ! أنا أحمر خجلا من أجلك ، ياعمى تيتس .

أندرسن : مستر دادجن : أنت فى حضرة أمك وحزنها .

ريشارد : يؤرقنى كثيرا هذا ، أيها القسيس . على ذكر ، ماذا آل إليه أمر تلك الطفلة غير الشرعية ؟

أندرسن : (مشيرا إلى إسى) هى هناك ، ياسيدى ، تصغى إليك .

ريشارد : (فى دهشة حقيقية) سبحان الله ! لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟ إن الأطفال لتقاسى الكثير فى هذا المنزل بدون ..... (يسرع فى أسف نحو إيمى) تعالى ، يا ابنة العم الصغيرة ! لاتبالى بى ! أنا لم أقصد إيلامك . (تنظر اليه شاكرة . يؤثر فيه كثيرا وجهها وقد ظهر عليه علامات الدموع ، فيتغير فى غضب شديد) . من الذى جعلها تبكى ؟ من الذى لم يحسن معاملتها ؟ والله . . .

مسز دادچن : (فى غضب مواجهة اياه) قف لسانك النجس . لن أتحمل منك أكثر من هذا . أترك منزلى .

ريشارد : كيف تعرفين أنه منزلك ولم تقرؤا الوصية بعد ؟ (ينظر كل منهما للآخر برهة نظرات مملوءة بغضا وكراهية ؛ ثم تسقط مقهورة ، فى كرسيها . يسير ريشارد فى تيك نحو النافذة مارا على أندرسن ويمسك بالكرسى ذى المسند) سيداتى وساداتى : بصفتى الابن الأكبر لأبى الراحل ، والرئيس الضعيف لهذا المنزل ، أرحب بكم . عن إذنك ، ياقسيس أندرسن : عن إذنك يا أستاذ هوكنز . رأس المنضدة لرأس الأسرة . (يضع الكرسى عند

المنضدة بين القسيس والمحامى ويجلس بينهما . ثم يخاطب الجماعة بلهجة الرئاسة) . نحن نجتمع الآن فى ظروف حزينة : والد ميت ! وهم شنيق بالفشل ، وأرباع لمن . (يهز رأسه متأسفاً ثم يحدق بأقاربه من حوله مايقول) لكم الحق ، فى أن تبتسوا ماشئتم ؛ إن هذا لا يهم (يرق صوته عندما يقع نظره على إيلى) ما دام هنالك ، بريق من الأمل فى عينى الطفلة . (بحدة) الآن يا أستاذ هوكنز : العمل ، العمل ، إبدأ بالوصية ، يارجل .

تيلس : لاتدع أحداً يأمرك أو يستحثك ، يامستر هوكنز .

هوكنز : (فى أدب كثير وارتياح) أنا واثق أن مستر دادجن لايقصد أى إهانة . لن أحجزك فقط ثانية واحدة ، يامستر دادجن . فقط حتى أخرج نظارتى . . (يبحث عن النظارة . ينظر أفراد أسرة دادجن بعضهم لبعض نظرات تنم عن الريبة وخيبة الأمل) .

ريشارد : أها ! إنهم يلحظون أدبك ، يامستر هوكنز . إنهم يستعدون لأسوأ الأمور . هاك كأساً من النبيذ كى تجلو بها صوتك قبل أن تبدأ . (يصب كأساً له

ويناوله إياها ثم يصب أخرى لنفسه) .

هوكنز : أشكرك ، يامستر دادجن . نخبك ، ياسيدى .

ريشارد : نخبك ياسيدى . (يرفع الكأس ، وهى فى طريقها إلى فمه ، ناظراً إلى النبيذ نظرة ارتياب ويضيف بشكل ، جدى غريب) هل يسمح أحد لى بكوب من الماء؟

(إيسى التى كانت منتبهة لكل كلمة من كلامه، وكل حركة من حركاته ، تقوم بخفة، وتنسل وراء مستر دادجن إلى حجرة النوم ، ثم ترجع بسرعة حاملة دورقاً، وتخرج من المنزل على أهدأ ما يكون) .

هوكنز : ليست الوصية مكتوبة ، فى أسلوب قانونى صحيح

ريشارد : لا : أبى مات بدون عزاء القانون[1] .

هوكنز : حسنا ثانية . يامستر دادجن ، حسنا ثانية .

(يستعد للقراءة) هل أنت مستعد ، ياسيدى ؟

ريشارد : مستعد ، نعم مستعد . أسأل الله أن يجعلنا شاكرين لما عسى أن يصيبنا . إبدأ .

هوكنز : (يقرأ) « هذه آخر وصية وكتابة لى أنا تيموثى دادجن ، أمليتها على فراش الموت فى نيڤينسترون فى الطريق من سبرنجتون إلى ويستربردج فى هذا

---

(١) يريد ريشارد أن يقول أن أباه لم يكن من رجال القانون فلما مات لم يظهروا له عزاء .

اليوم ٢٤ سبتمبر سنة ألف وسبعمائة وسبع وسبعين.
فأنا ألغى بهذه كل الوصايا السابقة التى كُتبت
بطلبى ورغبتى ، وأعلن أننى بعقل سليم وأعرف
تماما ما أفعل وهـذه هى وصيتى الحقيقية تبعا
لشعورى و إرادتى » .

ريشارد : (ينظر إلى أمه) آها !

هوكنز : (يهز رأسه) تعبير ركيك يا سيدى ، تعبير
خاطئ . « أعطى وأهب مائة جنيه إلى ابنى الأصغر
كريستوفر دادجين ، يُدفع له خمسون منها يوم
زواجه بسارة ولكنز إذا رغبت هى فيه ،
وعشرة جنيهات عند ولادة كل طفل من أطفالهما
حتى يبلغ عددهم الخمسة » .

ريشارد : ماذا يكون إذا لم تقبله زوجا ؟

كريستى : إنها تقبل إذا كان فى حوزتى خمسون جنيها .

ريشارد : حسنا ، يا أخى . استمر .

هوكنز : « أعطى وأهب لزوجتى ، آنى دادجين ، المولودة آنى
بريمروز » .... أنت ترى أنه لم يعرف القانون ،
يا مستر دادجين . أمك لم تولد آنى : إنها عُمّدت

كذلك . « سنويا اثنين وخمسين جنيها مدى الحياة
(مسز دادجن وكل العيون ترقبها ، تتخشب وتتصلب)
تدفع لها من أرباح مالها الخاص » . هناك طريقة
لذكر ذلك ، يا مستر دادجن ! مالها الخاص !

مسز دادجن : طريقة جميلة جداً لرعاية حق الله . لقد كان كل
بنس من مالى الخاص . إثنان وخمسون جنيها
فى العام !

هوكنز : « وأوصى بالنسبة لطيبتها وتقواها بأن ترعى أولادها
صافحة عنهم ، فلقد وقفت بينهم و بينها بقدر
ما استطعت » .

مسز دادجن : وهذا يكون جزائى ! (غاصة فى غيظها) أنت تعرف
رأيى ، يا مستر أندرسن : أنت تعرف الكلمة
التى عبرت بها عنه .

أندرسن : إن هذا لن يغيرّ شيئا ، يامسز دادجن . يجب أن
نرضى بما يصيبنا . (إلى هوكنز) استمر ياسيدى .

هوكنز : « أعطى وأهب منزلى فى و بستر بردج بما حوله
من الأراضى ، وكل بقيــة أملاكى لولدى الأكبر
ووارثى ، ريشارد دادجن » .

ريشارد : أهُوْ ! العجل السمين ، أيها القسيس ، العجل السمين .

هوكنز : « على هذه الشروط . . . »

ريشارد : أعوذ بالله ! هل هناك شروط ؟

هوكنز : « للميراث ؛ أولا ، أنه لا يدع عمته أخى يتعرض لجوع أو تضطر بدافع الحاجة لأن تعيش عيشة فاسدة » .

ريشارد : (مؤكدا ، وضاربا المنضدة بضمة يده) موافق .

(تلتفت مسز ددجين بكراهية نحو ليدي ، فلا تجدها . تلتفت حولها لترى أين ذهبت ، ثم عندما ترى أنها قد غادرت الحجرة بدون استئذان ، فتشيعها بروح الانتقام) .

هوكنز : « ثانيا ، أن يكون صاحبا شفيقا لحصانى المعجوز جيم » . (يهز رأسه ثانية) كان يجب أن يكتب جيمز ، يا سيدى .

ريشارد : سيعيش جيمز عيشة ترف ، استمر .

هوكنز : . . . « ويُبق عامل المزرعة الأصم پرُدچر فِستَنْ فى خدمته » .

ريشارد : پرودچر فستون سيكون ثملا بالخمر كل يوم سبت .

هوكنز : « ثالثا ، أن يقدم الكريستى عند زواجه هدية

مما يزين أحسن الغرف » .

ريشارد : (رافعا الطائرين) هاك هذا ، يا كريستى .

كريستى : (مشدوها) أنا أفضل أن يكون لى الطاووس الظريف .

ريشارد : سيكون لك الاثنان معا . (يظهر كريستى سرورا كثيرا) استمر .

هوكنز : « وأخيراً ، أن يجتهد فى أن يعيش فى وئام مع أمه ما وافقت هى على ذلك .

ريشارد : (فى ريبة) إيه ! هل هناك أكثر من هذا ، يا مستر هوكنز ؟

هوكنز : (فى خشوع) « وفى النهاية ، أعطى وأهب روحى لخالق ، مبتهلا إليه مذلة أن يغفر لى آثامى وخطاياى ، راجياً أن يهدى ابنى حتى لا يقال بأنى أخطأت فى اتهامه دون غيره ، بسبب اضطرابى فى ساعتى الأخيرة فى هذا المكان الغريب » .

أندرسن : آمين .

الأعمام والبنات : آمين .

ريشارد : لم تقل أمى آمين .

مسز داجين : (بعنوم ، لا تقدر أن تسلم أملاكها فى عهد ما تزاع ،

مستر هوكنز : أهذه وصية صحيحة ؟ تذكَّرْ أن عندي وصيته القانونية الصحيحة، التي كتبتها أنت بنفسك تاركاً لي فيها كل شيء .

هوكنز : هـذه وصية تعبيراتها ركيكة غير منتظمة ، يا مسز دادجن ؛ ولو أنها (يلتفت إلى ريتشارد بأدب) تحوى في نظرى توزيعاً حسناً لأملاكه .

أندرسن : (متداخلا قبل أن تتمكن مسز دادجن من الرد) ليس هذا ما سألت فيه ، يا مستر هوكنز . هل هذه وصية قانونية ؟

هوكنز : ستأخذ المحاكم بها دون الأخرى .

أندرسن : ولكن لِمَ ذلك ، إذا كانت تعبيرات الأخرى أحسن من الوجهة القانونية ؟

هوكنز : لأن المحاكم ، يا سيدى ، تنظر بحق الرجل — وذلك هو الابن الأكبر — ضد أى امرأة . لقد حذرتكِ ، يا مسز دادجن ، عندما كلفتنى بكتابة تلك الوصية الأخرى ، حذرتك من أنها لم تكن وصية حكيمة ، وبأنك لو جعلتيه يمضيها، فإنه لن يستريح حتى يلغيها . ولكنك لم تنتصحى ؛

والآن قد أصبح مستر ريتشارد سبع الغابة .

(يأخذ لحته من الأرض ؟ ويقوم ؟ ثم يبدأ في وضع الأوراق والنظارة في جيبه . هذه علامة فض الاجتماع . يأخذ أندرسن قبعته من المشجب ويصحب إلى وليم عند الدفأة . يحضر تيتس متاع جوديث من المشجب ويقوم الثلاثة الجالسون على الأريكة ويتحدثون مع هوكنز . مسز دادجن . وقد أصبحت دخيلة في منزلها . تقف صامتة تحت عبء القانون الثقيل على النساء ، مستسلمة له ، كما تعودت أن تسلم للمصائب المكتوبة تعليلا على عظمة القوى التي تسببها ، وعلى ضعفها وصغر شأنها بالنسبة إلى تلك القوى ؛ لأنه في ذلك الوقت ، تذكر أن ماري ولستونكرافت[١] كانت لا تزال بنتا في الثامنة عشرة ، ولم يأت دفاعها عن حقوق النساء إلا بعد أربعة عشر سنة من هذا التاريخ . تعود إسي مسز دادجن من ولعها ، إذ ترجع بالدورق مملوءاً ماء ، وتأخذه إلى ريتشارد فتوقفها مسز دادجن) .

مسز دادجن : (مبعدة) أين كنت ؟ (تحاول إسي ، المضطربة المهمومة أن تجيب فلا تستطيع) كيف تجاسرت على الخروج وحدك بعد الأوامر التي ألقيتها عليك ؟

إسي : لقد طلب إليّ جرعة ماء (تسكت ، وقد انعقد لسانها في أعلى فمها من الفزع) .

---

(١) Mary Wollstonecraft سيدة أمريكية قامت لتدافع عن حقوق النساء في أواخر القرن الثامن عشر .

جوديث : (بحدة أقل) مَن الذى طلب الماء ؟ (تشير إمى إلى ريشارد ، بدون أن تتكلم) .

ريشارد : ماذا ؟ أنا ؟

جوديث : (فى دهشة) أوه ، إمى ، إمى !

ريشارد : أظن أنى طلبت الماء . (يأخذ كأسا ويعطيه إمى لتملأها ، ترتعش يدها) ماذا ! هل أنت خائفة منى ؟

إمى : (بسرعة) لا . أنا — (تصب الماء فى الكأس)

ريشارد : (يتناوله) آه ، قد قطعت الشارع حتى الينبوع الذى عند باب السوق لتحضرى هذا . (يأخذ جرعة) لذيذ ! أشكرك . (لسوء الحظ ، يصادف عند هذه اللحظة أن يقع بصره على وجه جوديث ، وقد بدت عليه علائم الاستياء الشديد من ميله الواضح نحو إمى ، التى وقفت تنظر إليه بعين ملؤها الشكر . وسرعان ما تبدو على وجهه علائم التهكم تامة . يضع الكوب على المنضدة ، ثم يضع ذراعه ، متعمداً ، حول كتفى إمى . ويأتى بها إلى وسط الجماعة . تكون مسز دادجن فى طريق إمى عندما تمران على المنضدة ، فيقول) عن إذنك ، يا أمى (ويرغمها على أن تخلى لها الطريق) ما ذا يسمونك ؟ بيسى ؟

إسى : إسى .

ريشارد : إسى ، بكل تأكيد . هل أنت بنت طيبة يا إسى ؟

إسى : (مستاءة ، لأنه ، ككل الناس ، يحدثها بهذا الأسلوب) نعم (تنظر في ريبة إلى جوديث) أظن ذلك . أعنى أنى . . . إنى أرجو ذلك .

ريشارد : إسى : ألم تسمعى قط عن شخص يدعى الشيطان؟

أندرسن : (في اشمئزاز وغضب) عار عليك ، يا سيدى مع مجرد طفلة ...

ريشارد : اسمح لى ، أيها القسيس : أنا لا أتدخل في وعظك : فلا تقطع إذن علىّ وعظى (إلى إسى) هل تعرفين ماذا يسموننى ، يا إسى ؟

إسى : ديك .

ريشارد : (يبتسم . ويربت كتفها بيده) نعم ، ديك وشيئا آخر أيضا . إنهم يسموننى « تابع الشيطان » .

إسى : ولماذا تدعهم ؟

ريشارد : (بجد) لأن هذا صحيح . لقد نشأت في الاتجاه الفاسد ، ولكنى عرفت من أول الامر أن

الشيطان هو مولاى وقائدى وصديقى . رأيت أنه على صواب ، وأن الناس انحنوا إلى من غلبه بسبب الخوف فقط . لقد صليت سرا له ، فواسانى ، ونجًا روحى من أن تتمزق فى منزل دموع الأطفال هذا . وهبت له نفسى وأقسمت يمينا ، أنى سأحارب من أجله فى هذه الدنيا وسأقف إلى جانبه فى الآخرة (يخترع) ذلك الوعد وذلك اليمين قد جعلا رجلا منى . منذ اليوم سيكون هذا المنزل داره ، ولن يبكى طفل فيه : وستكون هذه المدفأة مكان قرابينه ، ولن تنكمش فوقها نفس فى الليالى المظلمة وتشعر بالخوف . الآن (موجها كلامه بحدة إلى الآخرين) من منكم أيها الرجال الصالحون يتطوع لأن يأخذ هذه الطفلة وينقذها من بيت الشيطان ؟

جوديث : (آتية إلى إسى وواضعة حولها ذراعها كأنها تحميها به) سآخذها أنا . يجب ان تحرق أنت حيا .

إسى : لكنى لا أرغب (تنهار ، تاركة ريتشارد وجوديث وجها لوجه) .

ريشارد : (إلى جوديث) هى فعلا لا ترغب ، يافضل السيدات.

تيلى : كن شفيقا ، يا ريشارد دادجن . القانون . . .

ريشارد : (موجها إليه الكلام فى تهديد) كن شفيقا أنت .
بعد ساعة من الآن ، لن يكون هنا قانون سوى الأحكام العرفية . لقد مررت بالجنود على مسافة ستة أميال وأنا فى طريق إلى هنا : ستقلم الثوارقبل الظهر ، مشانق الماجور سوِ نْدُنْ ، فى رَحَبَة السوق.

أندرسن : (فى هدوء) ما ذا يخيفنا من هذا ، يا سيدى ؟

ريشارد : أ كثر مما تتصور . لقد شَنَقَ الرجل البرىء فى سبرنجتون . إنه ظن أن عمى بيتر كان رجلا محترما لأن عائلة دادجن محمة كريمة . ولكن مشنقته التالية ستكون أحسن رجل فى البلد يستطيع أن يتهمه بحق بأنه ثائر . حسن نحن كلنا ثوار ، وأنتم تعلمون ذلك .

كل الرجال : (عدا أندرسن) لا ، لا ، لا !

ريشارد : أجل ، أنتم ثوار . حقيقة لم تلعنوا الملك جورج فوق الهضاب وفى الوديان كما فعلت ، ولكنكم ابتهلتم للرب بالصلاة كيا يُهزم ، وأنت ، ياأنتوى

أندرسن ، كنت إمام هذه الصلاة ، وبيت إنجيل أسرتك لتشترى بثمنه مسدسين . ربما لايشنقونني ؛ لأن شنق « تابع الشيطان » الذى لا يكترث بشيء لن يجديهم شيئا . ولكن قسيسا ! (تتعلق جوديث بأندرسن وهي مكتئبة) أو محاميا ! (يجسم هوكنز ابتسامه رجل يمكنه أن يحافظ على نفسه) أو تاجر خيل صالح !! (يتزعزع تيتس فى غضب ورعب) أو سكيرا تائبا ! (يظهر على وليم الضعف : يئن ويضجر خوفا) إه ؟ ألا يدل هـذا على أن الملك جورج قد صمم على عمل جدى — ها ؟

أندرسن : (ضابطا نفسه تماما) تمهلى ، ياعزيزتى : هو يحاول فقط أن يخيفك . ليس هناك أى خطر . (يأخذها خارج المنزل . يندفع الباقون إلى الباب ليتبعوه ، عدا إسى ، التي تبقى بالقرب من ريشارد) .

ريشارد : (بصوت متهكم مرتفع) الآن إذن : كم منكم سيبقى معى ، ويرفع العلم الأمريكى على بيت الشيطان ، ويحارب من أجل الحرية ؟

(يخرج الجميع بسرعة ، ويصنع كريستى ، يدفع كل منهم الآخرين فى تسابقهم) ها ها ! مديحا الشيطان !

(إلى مسز دادجون ، وهي تبتسم) ماذا ، يا أمي !
هل أنت ذاهبة أيضا ؟

مسز دادجون : (شاخصة ، ويدها على قلبها كمن أصابه سهم الموت)
لعنتي عليك ! لعنتي الأبدية ! (تخرج)

ريشارد : (صائحا وراءها) إنها ستجلب لي الحظ ها ها ها !

إسى : (باهتمام) ألا تسمح لي بالبقاء ؟

ريشارد : (ملتفتا إليها) ماذا ! هل نسوا أن ينقذوا روحك
في أثناء قلقهم على أجسامهم ؟ أوه نعم : يمكنك
أن تبقى . (يلتفت في حماس بعيدا عنها ويهز قبضة يده
وراءهم . تكون قبضة يده اليسرى ، منقبضة ، وإلى
أسفل. تمسك بها إسى بها وتقبلها ، لتسقط دموعها عليها . يتجه
بصره إلى قبضة يده) دموع ! تعميد الشيطان !
(تخر على ركبتيها ، باكية . ينحني ليربت عليها قائلا)
أه نعم . يمكنك أن تبكي على هذا الشكل ،
يا إسى ، إذا أردت .

الفصل الثاني

يقع منزل القسيس أندرسن فى الشارع الرئيسى فى «وِيِستَرْ برِدْج» ، وعلى مسافة غير طويلة من المجلس البلدى. ويتراءى لرجل القرن الثامن عشر الذى يعيش فى ولاية «نيُو إنجلاَنْدِرَ» أنه أكبر بكثير من منزل أسرة دادجن الريق الصغير : ولكنه فى الوقت نفسه بسيط حتى أن وسيط المنازل الحديثه ليستأجره بنفس المبلغ الذى يستأجر به منزل مسز دادجن. وإنك لتجد فى أحسن غرفه مدفأة كدافىء المطابخ ، بمرجل ؛ ومقدُحَة[1] معلقة ، وغطاء متحرك من الحديد ، ومفتاح فى أعلى لحرارة التقديد ، ورف منبسط من الحديد ، عليه مقلاة وطبق يحوى خبزاً مقدَّداً يعلوه الزبد. وليس للباب الذى بين الركن والمدفأة مزلاج أو مقبض ، وهو مصنوع من ألواح بسيطة من الخشب ويمكن قفله بالمترس. والمنضدة من النوع الذى يوضع فى المطبخ ، عليها مفرش ملون من المشمع. ومطرز فى حروفه !

---

(١) هى أشبه بشوكة كبيرة ذات يد طويلة توضع فى أطرافها قطعة الخبز ، وتقرب من النار حتى تتقدد.

وأدوات الشاى التى عليها ، تتكون من فنجانين صغيرين، بطبقيهما ، وكلها مصنوعة من الخزف البسيط ، ثم إبريق اللبن ، وحوض صغير من نفس النوع والصنع ، يسع كل منهما ربع «جالون» . وكل ذلك موضوع على صينيه يابانية ؛ وفى وسط المائدة رغيف كبير على طبق من الخشب ، وقطعة من الزبد تزن نصف رطل موضوعة فى وعاء من الخزف . والخزانة الكبيرة المصنوعة من خشب البلوط ، تواجه المدفأة فى الجانب المقابل من الحجرة . وهى معدة للاستعمال والخزن ، لا للزينة ، وقد علق من وتد على بابها سترة القسيس ؛ وهذا يدل على أنه فى الخارج ، إذ عند ما يكون داخل المنزل ، فإنه يعلق على باب الخزانة أحسن سترة عنده . وخفه الكبير موضوع بجانب الخزانة فى مكانه المعتاد ، كأنما يتيه بنفسه . والحق إن تطور مطبخ القسيس وحجرة غذائه وحجرة استقباله إلى ثلاث غرف منفصلة ، لم يتم بعد . وعلى ذلك فمنزله ، فى نظر الرجل الذى يعيش فى عصرنا المترف ، لا يفوق منزل عائلة دادجين .

ومع ذلك فهناك بعض الفروق بين الدارين : فأول ما يمكن أن يقال ، هو أن مسز أبدرسن أحسن عشرة من مسز دادجين . وتجيب مسز دادجين عن ذلك ، إجابة معقولة ، فتقول ، إنه ليس

لمسز أندرسن أطفال ترعاهم ، وليس عندها دواجن ، أو خنازير ، أو ماشية ، وأن دخلها كاف وثابت ولا يتوقف مباشرة على المحصولات ولا على الأثمان فى الأسواق ، وأن لها زوجا عطوفا يشد دائما أزرها : وبالاختصار ، فبقدر ما أن الحياة شديدة فى المزرعة فإنها لينة فى منزل القسيس . هذه هى الحقيقة ، ولكن لا يتغير الحقيقة تفسيرها ، ومهما كانت الجدارة التى أهلت مسز أندرسن لأن تجعل دارها أكثر سعادة ، مهما كانت هذه الجدارة قليلة ، إلا أنها ولا شك ، قد نجحت فى ذلك . والعلائم الخارجيــة المرئية التى تميزها ، فى ناحية المظاهر الاجتماعية ، هى سجادة منقوشة ، تغطى أرض الغرفة ، وسقف مجبس مابين أخشابه ، وكراسى مطلية ولامعة ، ولو أنهـا ليست مزخرفة ، وتمثل الفنون الجميلة فى صورة منحوتة لقديس ، قد ملىء مكان تحتها بالمداد الهندى ، وفى طبق من النحاس ، قد نحتت فيه صورة سنت پول وهو يعظ فى أثينا ، مأخوذة عن تصوير روفائيل ، وساعة للزينة ، من طراز القرن السابع عشر موضوعة على الرف ، وإلى جانبيها زوج من التماثيل المصنوعة من الملح ، وزوج من كلاب ، مصنوعة من الخزف ، وفى فيهما سلتان ، وعند طرفى الرف ، وضعت قوقعتان كبيرتان . ومن

الأشياء التي تكوّن منظرا رائقا في الحجرة ، الشباك الواسع غير العالي ، بما عليه من قطع المضرّس (الدانتلة) التي تغطي كل مشمه تقريبا ، ثم الستائر الحمراء الصفيرة التي تتحرك على قضيب موضوع عند منتصف الشباك : والتي هي بمثابة السجف أيضا . وليس في الغرفة أريكة ، ولكن لأحد المقاعد القريبة من الخزانة ظهر متحرك ، يكفي طوله لأن يجلس عليه شخصان بسهولة . وعلى كل حال فالحجرة من النوع الذي جاهد القرن التاسع عشر في الرجوع إليه ، تحت إمرة مستر فيليب وب وتلاميذه في فن المعمار المنزلي ، ولو أنها ما كانت ترضي قسيسا راقيا يعيش قبل ذلك الوقت بخمسين سنة .

لقد أقبل المساء ، فالحجرة مظلمة ، إلا من وهج نار المدفأة المريح ، وضوء المصابيح الزيتية الخافت ، الذي يتخلل النافذة من الشارع المبلل : حيث ينهمر سيل من المطر ، في هدوء ودقة واستمرار ، وفي غير مارح . وعندما تدق ساعة البلدية الربع ، تدخل جوديث الغرفة بزوج من الشمع قائمين في شمعدانين من الخزف ، وتضعهما على المنضدة . لقد زال ذلك الوثوق بالنفس ، الذي كان باديا عليها في الصباح ، فهي خائفة قلقة . تذهب إلى الشباك ، وتطل من خلاله على الشارع . وأول ما ترى

فيه ، زوجها ، مسرعا ، تحت وابل من المطر ، نحو المنزل . فترسل شفه ارتياح صغيرة ، كأنما انبعثت فى بكاء ، وتلتفت نحو الباب . يدخل أندرسن ، ملفوفا فى عباءة مليئة بالبلل .

جوديث : (مسرعة نحوه) آه ، هاهو أنت ، وأخيراً أخيراً . (تحاول أن تحتضنه) .

أندرسن : (يبعدها عنه) احترسى يا حبيبتى : فإننى مبلل انتظرى حتى أخلع عباءتى . (يضع كرسيا بحيث يكون ظهره للنار ؟ ويضع عليه عباءته لتجف . ينثر قطرات المطر من قبعته ويضعها عند المدفأة . وأخيراً يلتفت إلى جوديث وذراعاه ممدودتان) الآن ! (ترتمى جوديث بين ذراعيه) إننى لم أحضر متأخرا ، أليس كذلك ؟ لقد دقت ساعة البلدية الربع عندما وصلت إلى الباب . وساعة البلدية دائماً متقدمة .

جوديث : إننى واثقة أنها متأخرة هذا المساء . كم أنا مسرورة لرجوعك .

أندرسن : (يضمها بشدة بين ذراعيه) قلقة ، يا عزيزتى ؟

جوديث : بعض الشىء .

أندرسن : ماذا ، إنك كنت تبكين .

جوديث : قليلا فقط ، لانهم بهذا : قد ذهب كل شيء الآن .

(يسمع بوق من مسافة . تنهار جوديث في فزع إلى الكرسي الطويل . وهي تصيح) ما هذا ؟

أندرسن : (يقيمها نحو إلى الكرسي و عليها يسه عليه) إنهم فقط جنود الملك جورج ، يا عزيزتي . لعلهم راجعون إلى المعسكر ، أو لعلهم يحصرون الأسماء ، أو يستعدون لتناول الشاي ، أو يلبسون أحذيتهم ، أو يضعون الأسرجة على الخيل ، أو يفعلون أي شيء . فالجنود لا تدق الجرس ، ولا ينادون من أعلى الدرابزين ، عند ما يريدون شيئا : بل يرسلون أحدهم ببوق كي يزعج البلدة جمعاء .

جوديث : أتظن أن هناك خطراً حقيقة ؟

أندرسن : ليس هناك أقل خطر في الدنيا .

جوديث : أنت تقول هذا لتطمئنني ، لا لأنك تعتقد به .

أندرسن : يا عزيزتي : في هذه الحياة ، هناك دائماً خطر لمن يخافه . هناك خطر من أن تشب النار في المنزل ليلا ، ولكننا لن ندع هذا يقض مضجعنا .

جوديث : أنا دائماً أفهم ما تقول ، وأنت على حق . أه ،

على حق : أنا أعرف ذلك . ولكن ، أظن أنى لست شجاعة : هـذا هو كل شىء . إن قلبى يرتعد كلما أفكر فى الجنود .

أندرسن : لا تهتمى لهذا ، يا عزيزتى : فمن آفات الشجاعة أنها تسبب بعض الآلام .

جوديث : نعم . أظن ذلك . (تحتضنه ثانية) أوما أشجعك يا عزيزى ! (والدموع تترقرق فى عينيها) حسنا ، سأكون شجاعة أنا أيضا : إنك لن تخجل من زوجتك .

أندرسن : هذا حسن . الآن أنت قد أسعدتنى . حسناً : حسناً ! (يقوم ويذهب بانشراح نحو النار ليجفف حذاءه) لقد ذهبت إلى ريشارد دادجن فى طريق إلى هنا ، ولكنى لم أجده بالمنزل .

جوديث : (تقوم مدهشة مروعة) ذهبت لذلك الرجل !

أندرسن : (مطمئنا إياها) أه ، لم يحدث شىء ، يا عزيزتى . لقد كان خارج المنزل .

جوديث : (تكاد تبكى كأنما كانت الزيارة تحقيراً لشخصها) ولكن لماذا ذهبت إلى هناك ؟

أندرسن : (جديا) حسناً ، يتواتر الكلام على ألسنة الجميع الآن ، بأن الماجور سوندن سيفعل ما فعل فى سبرنجتون . سيجعل من أحد الثوار الأشقياء ، كايسمينا هو ، عبرة ومثلة. لقد اختار بيتر داد جين كأسوأ شخصية هناك ؛ والظن السائد ، أنه سيختار ريشارد كأسوأ شخصية هنا .

جوديث : ولكن ريشارد قال ...

أندرسن : (يوقفها بلطف) يوه ! ريشارد قال ! لقد قال ما ظن أنه يخيفك ويخيفنى ، ياعزيزتى . قال ما ربما — سامحه الله — رغب فى أن يعتقده. إنه لشىء مفزع أن يفكر الإنسان فى المعنى الذى لا بد يحمله الموت لرجل مثله . لقد شعرت بأن من الواجب أن أحضره ، فتركت له رسالة .

جوديث : (قلقة وكأنها تشكو) وما هى الرسالة ؟

أندرسن : فقط أنه يسرنى أن أراه برهة لأمر يهمه ، وأنه إذا رغب فى أن يعرج علينا فى طريقه ، فعلى الرحب والسعة .

جوديث : (فى فزع) أنت طلبت إلى هذا الرجل أن يأتى إلينا !

أندرسن : ثم هذا حصل .

چوديث : (تسقط في الكرسي وتقبض على يديها) أرجو ألا يأتي ! أه ، أبتهل إلى الله أنه لا يأتي !

أندرسن : لماذا ؟ ألا تودين أن يُحذَّر ؟

چوديث : يجب أن يعرف الخطر الذي أمامه . أه ، يا توني : هل من الإثم أن يكره الإنسان شريراً كافراً ؟ إنني أبغضه . إنني لا أقدر أن أبعده عن فكري : أنا أعرف أنه سيأتي بالشر معه . لقد أهانك : وأهانني : وأهان أمه .

أندرسن : (في هدوء ورزانة) حسنا ، ياعزيزتي ،فلنسامحه ، ثم لا يعنينا ما فعل .

چوديث : أه ، أنا أعلم أن من الإثم أن يكره الإنسان أي شخص ، ولكن ...

أندرسن : (ذاهبا اليها بحنو وعطف وبوجه باش) هكذا ، ياعزيزتي . إنك لست خاطئة كما تظنين . إن أكبر الآثام التي نرتكبها ضد إخواننا من بني الإنسان ليس كرهنا لهم ، ولكن عدم شعورنا نحوهم بأية عاطفة : ولعل هذا هو مايسبب ضعف الروح الإنسانية ، ومع كل

حقا ، يا عزيزتى ، فانك ، لو نظرت فى أمر الناس قليلا ، لعجبت من تشابه الحب والكراهية .
(تتأثر بشكل غريب . ويظهر عليها علائم الفزع وهذا يجعله يحسم) أجل : أنا جادٌ فى كلامى ، أنظرى كيف أن بعضا من أصحابنا المتزوجين ، يضايق أحدهم الآخر ، ويتهم أحدهم الآخر ، ويثـار أحدهم على الآخر ، ويصعب عليهم أن يبعد أحدهم عن نظر الآخر يوما واحداً ، إنهم لاشبه بالسجانين وملاك الرقيق منهم إلى المحبين المغرمين . انظرى فى أمر هؤلاء الناس مع أعدائهم : تجدينهم حذرين ، شـاخين مُشْتَدّين بأنفسهم ، عاقدين العزم على أن يكونوا مستقلين أحدهم من الآخر . محتاطين فى كيف يتكلم أحدهم من الآخر . يوه ! ألم تفكرى ، غالبا فى أنهم ، لو عقلوا ، أوفى صداقة لأعدائهم منهم لأزواجهم وزوجاتهم ؟ ثقى ، يا عزيزتى : أنك مغرمة بريشارد ، أكثر من غرامك بى ، لو أنك تعلمين . إه !

جوديث : أوه ، لا تقل هذا : لا تقل هذا ، يا تونى : حتى

مزاحا . إنك لاتتصور أى شعور فظيع يسبب لى .

أندرسن : (ضاحكا) حسنا ، حسنا : لا تهتمى ، ياحبيبتى ، هو رجل فاسد ، وأنت تكرهينه كما يستحق . وأنت ستقومين لتمدى الشاى ، أليس كذلك ؟

جوديث : (حانقة) آه نعم ، لقد نسيت ، وأبقيتك تنتظر طول هذه المدة (تذهب الى النار وتضع عليها الوعاء).

أندرسن : (يذهب إلى الخزانة ، ويخلع سترته) هل أصلحت كتف سترتى القديمة ؟

جوديث : أجل ، يا عزيزى . (تذهب الى المنضدة ، وتبدأ وضع أوراق الشاى من العلبة فى الغلاية).

أندرسن : (وهو يغير سترته بلبس السترة القديمة المعلقة على الخزانة ، ويضع مكانها الأخرى) هل جاء أحد وأنا فى الخارج ؟

جوديث : لا ، فقط ... (يسمع قرع على الباب ، تتقهقر بخوف واضطراب شديد ، إلى الطرف البعيد من المنضدة وعلبة الشاى والملعقة فى يدها ، وهى تصيح) من هو ذا ؟

أندرسن : (يذهب إليها ويربت كتفها بيده مطمئنا) لا تقلقى ، إنه لن يأكلك ، أيا كان هو . (تحاول أن تبتسم ، فتكاد تهمل عصيا تبكى . يذهب أندرسن إلى الباب ويفتحه . يظهر ريتشارد هناك بدون معطف أو عمامة)

كان يمكن أن ترفع المترس وتدخل ، يا مستر دادجن . ليس بيننا وبين أى إنسان كلفة . (بلطف) تفضل . (يدخل ريشارد بدون اكتراث ، ويقف عند المنضدة ملتفتاً حوله فى الغرفة وواقفاً أمامه قليلا عندما يبصر الصورة الدينية على الحائط . تثبت جوديث نظرها على علبة الشاى) . ألا يزال المطر يتساقط ؟ (يغلق أندرسن الباب) .

ريشارد : إنها تمطر بشدة ، الله يلعن... (تقع عينه على جوديث ، عندما تنظر هى بسرعة إلى أعلا فى أنفة) أسألك الصفح ؛ ولكن (يريه سترته المبللة) أنت ترى..!

أندرسن : اخلعها ، يا سيدى ؛ ودعها معلقة أمام النار برهة : لن تمانع زوجتى فى أن تجلس بدونها . جوديث : صبى معلقة أخرى من الشاى لمستر دادجن .

ريشارد : (ناظراً إليه فى تهكم) سحر الثروة : أيها القسيس ! هل حتى أنت مؤدب معى الآن لأنى ورثت ضيعة أبى ؟

(ترى جوديث الملعقة بكبرياء) .

أندرسن : (وهو يساعد ريشارد فى خلع سترته ، بدون أن يظهر عليه أدنى غضب) إنى أرجو ، يا سيدى ، ما دمت

قد قبلت ضيافتي ، ألا يكون عندك مثل هذه الفكرة السيئة عنها . تفضل بالجلوس (يتجه والسترة في يده إلى الكرسي ذي الظهر المتحرك ، ينظر إليه ريشارد برهة من الزمن ، كأنما يريد أن يعدأ معه شجاراً ؟ ثم ، بإيماءة من رأسه ، علق على الكرسي ، كأنه يعترف بأن القميص قد علته . يدفع أندرسن بيادته على قاعدة الكرسي الموضوع أمام المدفأة ، ويعلق سترة ريشارد على ظهر الكرسي مكانها) .

ريشارد : لقد أتيتُ ، ياسيدى ، إجابة لدعوتك. إذ تركتَ لى كلمة بأن لديك شيئاً مهما تود أن تخبرني به .

أندرسن : هى تحذير من الواجب على أن أعلمك به .

ريشارد : (قائما بسرعة) أنت تريد أن تعظنى . عذرا : إنى أفضل السير تحت وابل المطر (يتجه نحو سترته)

أندرسن : (موقفا إياه) لا تخف يا سيدى ، فلست بالواعظ الملعر . أنت فى مأمن من ذلك . (يجسم ريشارد قهرا عنه . ترق نظراته ، ويبدى إشارة اعتذار ؟ وعند ما يرى أندرسن أنه نجح فى استئناسه ، يوجه إليه الكلام بشكل جدى) . مستر دادچين : أنت فى خطر ما بقيت فى هذه البلدة .

ريشارد : أى خطر ؟

أندرسن : خطر عليك . مشنقة الماچور سوندن .

ريشارد : إنك أنت الذى فى خطر . لقد حذرتك ...

أندرسن : (معاطفا إياه باللطف ولكن بقوة الأمر أيضا) نعم ، نعم ، يا مستر دادچن ، ولكنهم لا يعتقدون ذلك هنا فى البلد . وحتى إذا كنت فى خطر ، فإن لدى واجبات يجب ألا أتخلى عنها . أما أنت ، فرجل حر . لم إذن تخاطر بحياتك ؟

ريشارد : وهل تظن أن تقدى يكون شيئاً عظيماً أيها القسيس ؟

أندرسن : إنى أعتقد أن حياة الرجل جديرة بأن تنجّى ، أيا كان هو . (ينحنى له ريشارد فى تهكم . فيرجع أندرسن الانحناء مازحا) . هلم : ستشرب فنجالا من الشاى يقيك شر البرد ؟

ريشارد : أرى أن مسز دادچن لا تبالى إلحاحك ، أيها القسيس .

جوديث : (يكاد يخنقها الغضب ، وقد كانت تنتظر مثله من زوجها تبرؤا به من كل إهانة من ريشارد) على الرحب والسعة من أجل زوجى . (تحضر إبريق الشاى إلى المدفأة وتضعه عليها) .

ريشارد : أنا أعرف أنك لم ترحبى بى من أجل خاطرى ،

. ياسيدتى . (بلوم) إنى أرى ، أيها القسيس ،
ألا أكسر خبزاً هنا .

أندرسن : (فى لطف وبشاشة) أعطنى سبباً وجيهاً لهذا .

ريشارد : لأن فيك شيئاً أحترمه ، يجعلنى أرغب فى أن تكون لى عدواً .

أندرسن : أحسنت فيما قلت . على هذا الأساس ، ياسيدى ، سأقبل عداوتك أوعداوة أى رجل آخر . جوديث: سيبقى مستر دادجن للشاى . تفضل بالجلوس : سيأخذ الشاى دقائق قليلة حتى ينقع ويكون صالحا للشرب . (ينظر ريشارد إليه بوجه متعب ثم يجلس ورأسه منحنية ، ليخفى اشمئزازاً فى عقله تسبب من الضيق والتعب) لقد كنت أقول لزوجتى ، الآن فقط يامستر دادجن ، إن العداوة . . . . (تمسك جوديث يده وتنظر إليه متوسلة ، وتقول عينها بقوة تمسكه فى الحال) حسناً ، حسناً ، أرى من الواجب ألا أخبرك ، لكنه لم يكن شيئاً يستدعى أن تكون صداقتنا . . . أعنى عداوتنا أسوأ مما هى عليه . إن جوديث عدوة لدودة لك .

ريشارد : لو كان كل أعدائي مثل مسز أندرسن ، لكنت أفضل رجل في أمريكا .

أندرسن : (في ارتياح ، وواضعا يده على يد جوديث) أسمعت هنا ياجوديث؟ مستر دادچن يعرف كيف يرد التقريظ .

(يرتفع المزلاج من الخارج) .

جوديث : (خائفة) من هو ذا ؟

(يدخل كريستي)

كريستي : (يقف محملقا في ريشارد) أه ، هل أنت هنا ؟

ريشارد : أجل . أغرب يافتى : إن مسز دادچن لا تحب أن تعطى الشاى للأسرة جميعها مرة واحدة .

كريستي : (يقترب إلى الداخل) إن أمي مريضة جداً .

ريشارد : حسنا ، هل تريد أن تراني ؟

كريستي : لا .

ريشارد : ظننت ذلك .

كريستي : إنها تريد أن ترى القسيس حالا .

جوديث : (الى أندرسن) أه ، لاتذهب قبل أن تتناول بعض الشاى .

أندرسن : سأشربه أكثر بعد أن أرجع يا عزيزتي .

(على وشك أن يأخذ عباءته) .

كريستى : لقد وقف المطر .

أندرسن : (يسقط الساعة ويأخذ قبعته من المدفأة) أين أمك يا كريستى ؟

كريستى : عند عمى تيتس .

أندرسن : هل أحضرتَ لها الطبيب ؟

كريستى : لا : إنها لم تخبرنى بذلك .

أندرسن : اذهب إليه حالا : سألحق بك عند منزله . (يدور كريستى ليذهب) انتظر لحظة . لابد أن أخاك متشوف لأن يسمع التفاصيل .

ريشارد : بشا ! ليس أنا : هو لايعرف شيئاً؛ وأنا لا يهمنى شىء . (بشدة) أغرب ، أيها الصنم . (يجرى كريستى ليخرج . يصيب ريشارد وعلى وجهه بعض علائم الخجل) سنعرف كل شىء حالا .

أندرسن : حسناً ، ربما تسمح لى أن آتيك بالأخبار بنفسى . جوديث : أتسمحين بأن تناولى الشاى لمستر دادجن ، وتبقيه هنا حتى أعود .

جوديث : (شاحبة مرتعدة) هل لابد أنى ...

أندرسن : (آخذاً يديها ومقاطعاً إياها كى يخفى اضطرابها) ياعزيزتى :

يمكنني أن أعتمد عليك ؟

جوديث : (تحاول فى يأس أن تظهر أنها أهل لثقته) نعم .

أندرسن : (ساقطاً يدها على شده) لا تبالى بمجوز ين مثلنا . يا مستر دادچن (دمعا) إننى لن أقول لك « مساء الخير » : سأجدك هنا عندما أعود . (يخرج) .

(يرقبانه يمر على الشباك . وبعد ذلك ينظر أحدهما للآخر فى صمت وهدوء . يلاحظ ريشارد الرعش فى شفتيها . إنها قد سبقها فى استجماع قواه على الكلام) .

ريشارد : مسز أندرسن : أنا أعرف تماماً طبيعة شعورك وعواطفك نحوى . أنا لن أضايقك بوجودى . نهارك سعيد . (يبدأ بالذهاب نحو النار ليأخذ سترته) .

جوديث : (تقف حائلا بينه وبين سترته) لا ، لا ، لا تذهب : أرجوك ألا تذهب .

ريشارد : (فى خشونة) لماذا ؟ أنت لا تودين بقائى هنا .

جوديث : نعم ، أنا... (تفرك يديها من اليأس) آه ، إن قلت لك الحقيقة ، فلسوف تجعل منها أداة لتعذيبى .

ريشارد : (بأنفة) تعذيب ! أى حق يخول لك أن تقولى هذا ؟ هل تنتظرين منى أن أبقى بعد ذلك ؟

جوديث : أنا أريدك أن تبقى ، ولكن (تثور على جثة ضده كطفل غاضب) ليس ذلك لأنى أميل إليك .

ريشارد : حقيقة !

جوديث : أجل : الأفضل لى أن تنحب على أن تسىء الفهم فى رغبتى لإبقائك . إنى أكرهك وأخلاقك ، وزوجى يعرف ذلك . فإذا لم تكن هنا عندما يرجع ، فإنه سيعتقد أنى خالفته وطردتك .

ريشارد : (فى تهكم) ولأنك كنت طبعا متملقة وكريمة وظريفة نحوى ، فإنى أردت الذهاب فقط لمجرد رغبتى فى المعاندة ، إه ؟

(لا تستطيع جوديث أن تتحمل منه كل هذا ، تسقط فى الكرسى ، وتجهش بالبكاء) .

ريشارد : مَهْ ، مه ، مه ، أرجوك ألا تبكى هكذا . (يضع يده على صدره كأنما يضمها على جرح) لقد آلم قلبى أنه كان رجلا شهما معى . أتريدين أن تعزقيه بأن تكونى امرأة ضنينة ؟ ألم يرضك فوق ابتهاجاتى ، مثل ما رفع نفسه ؟ (تكف عن البكاء ، وتعود إلى غضبها بعض الشىء ، وتنظر إليه بعجب وخوف) هنا : هنا

حسن . (فى عطف) أنت الآن أحسن من ذى قبل ؛ أليس كذلك ؟ (يضع يده برووج للتشجيع ، فوق كتفها ، فتقوم فى الحال بأنفة ، وتضايق مستمدية . فى الحال برسم ثانية لنفسه التهكي) أسمعنا أحسن، لقد رجعت إلى نفسك الآن ؛ كذلك ريشارد . حسنا ، هل نتناول الشاى كشخصين هادئين محترمين ، وننتظر أوبة زوجك ؟

جوديث : (وهى خجلة من عسها بعض الشىء) أرجوك. أنا... أنا آسفة لأنى كنت غبية جداً . (تنحنى لتأخذ طبق الخبز من فوق المدفأة) .

ريشارد : أنا آسف : من أجلك ، لأنى... مثل ما أنا عليه . اسمحى لى . (يأخذمنها الطبق ويذهب به إلى المنضدة).

جوديث : (تتجه بابريق الشاى) هل تتفضل بالجلوس ؟ (يجلس عند طرف المنضدة القريب من الخزانة ، حيث قد وضع طبق وسكين . وبالقرب منهما وضع طبق آخر ؛ ولكن جوديث تبقى عند الطرف المقابل من المنضدة ، قريبا من النار ، حيث تجلس جاذبة الصينية نحوها) أتشرب الشاى بالسكر ؟

ريشارد : لا ؛ ولكن بكثير من اللبن . دعينى أقسم لك بعض

لخبيز القـديد . (يضع بعض الخبز فى الطبق الآخر ، ويقدمه والسكين لها ، يدل هذا على أنه فهم أنها تجنبت مكانها المعتاد لتكون بعيدة عنه ما أمكن) .

جوديث : (بشعور صادق) شكراً (تناوله الشاى) هلاّ تتناول ما تريد ؟

ريشارد : أشكرك (يضع قطعة خبز على الطبق الذى أمامه ، وتصب هى الشاى لنفسها) .

جوديث : (تلاحظ أنه لم يذق شيئا) ألا تستسيغ الطعام ؟ إنك لا تأكل شيئا .

ريشارد : وأنت كذلك .

جوديث : (فى بعض الاضطراب) أنا لا أهتم كثيرا بالشاى . لا تكترث بى من فضلك .

ريشارد : (ناظراً حوله كمن يحلم) . أنا أفكر . إن كل هذا غريب علىّ . يمكننى أن أرى وتلم هذا المنزل وجماله . أظن أنى لم أكن فى حياتى أكثر ارتياحا منى فى هذه اللحظة ؛ ومع ذلك فإنى أدرك تماما أنه لا يمكننى مطلقا أن أعيش هنا . أظن ، أنه ليس من طبيعتى فى شىء ، أن آلفـ

المنزل.ولكنه جميل جداً . يكاد يكون مقدساً .

(يفكر برهة ثم يضحك ضحكا رقيقا).

جوديث : (بسرعة) لماذا تضحك ؟

ريشارد : كنت أفكر فيما إذا دخل غريب هنا الآن ، فربما يعتقد أننا زوجان .

جوديث : (سعادة مستنكرة) أظن ، أن ما ترمى إليه هو أنك أقرب سناً لى منه .

ريشارد : (مفكرا فى هذه النقطة التى لم تخطر بباله) أنا لم أفكر فى شىء كهذا مطلقا . (فى تهكم) أرى أن هناك ناحية أخرى من السعادة المنزلية .

جوديث : (غاضبة) أفضل أن يكون لى زوج يحترمه كل إنسان على . . . على . . .

ريشارد : على «تابع الشيطان» . أنت على حق . ولكنى أجامل وأقول . . إن حبك إياه يساعده على أن يكون رجلا صالحا ، كما أن بغضك إياى يساعدنى على أن أكون رجلا فاسداً .

جوديث : إن زوجى كريم جداً معك . لقد سامحك فى إهانتك له ، وهو يحاول أن ينقذك . ألا يمكنك

أن تساعده فى أنه أفضل بكثير منك ؟ كيف تجرؤ على أن تحط من منزلته بوضعك نفسك مكانه ؟

ريشارد : هل قلتُ ذلك ؟

جوديث : نعم ، قلت . لقد قلت إنه إذا دخل أحدهنا ، لاعتقد أننا رجل و . . . (تسكت وقد أخذها الرعب ، عند ما تمر فصيلة من الجند على الشباك) الجنود الإنجليزية ! أوه ، ماذا هم . . .

ريشارد : (مصغيا) إش !

صوت : (من الخارج) قف ! أربعة فى الخارج : إثنان معى إلى الداخل .

(تقوم جوديث نصف قومة منحنية ، وناظرة إلى ريشارد بعينين واسعتين من الرعب ، فى حين أنه يأخذ فنجانه هادئاً كأنه لا يبالى شيء ، ويشرب الشاى ، وفى الوقت نفسه يرتج الزلاج بصوت ظاهر ، ويدخل جاويش فى الحجرة يصحبه جنديان يقفان عند الباب . يأتى الجاويش ثبات عند المنضدة حيث يقف بين جوديث وريشارد) .

الجاويش : آسف لإزعاجك ياسيدى . لكنه حكم الواجب ! أنتونى أندرسن : باسم الملك جورج ، أقبض عليك بتهمة الثورة .

جوديث : (مشيرة إلى ريشارد) ولكن هذا ليس . .

(يلتفت ريشارد اليها بسرعة ، وينظر اليها وقد ثم وجهه عن عزم من جديد . تتوقف هنا عن الكلام باليد التى رفعتها لتشير اليه ، وتقف خائفة فى رعب) .

الجاويش : هلم أيها القسيس . ألبس سترتك وتعال معى .

ريشارد : أجل : سآتى معك (يقوم ويخطو خطوة نحو سترته ، ثم يستجمع قواه ، ويظهره نحو الجاويش ، يجول نظره بتؤدة فى الحجرة بدون أن يدير رأسه ، حتى يرى سترة أندرسن السوداء معلقة على الخزانة . يذهب اليها رابط الجأش ، ويأخذها من المشجب ، ثم يلبسها . تضحكه فكرة أنه قسيس : ينظر الى الردن الأسود على ذراعه ، ثم يبتسم ابتسامة ماكرة نحو چوديث ، التى يدل وجهها الشاحب على أنها تحاول أن تدرك فظاعة الموقف لا تكاد . يلتفت الى الجاويش ، الذى يقترب بقيدين من الحديد يخفيهما وراء ظهره ، ويقول بمرح) هل سبق لك أن ألقيت القبض على رجل فى مثل هذه الملابس ، أيها الجاويش ؟

الجاويش : (باحترام طبيعى بعثه السترة السوداء ، وبعثه الأدب ريشارد) حقاً ، لا يا سيدى . قط ، قسيس فى الجيش على ما أذكر . (مظهراً القيدين) آسف يا سيدى ، ولكن الواجب ...

ريشارد : هو كذلك ، يا جاويش . حسنا ، لست خجلا منهما : أشكرك كثيراً لاعتذارك (يمد يديه اليه)

الجاويش : (بدون أن يضع القيدين في يدى ريشارد) كرجل. لرجل، ياسيدى. ألا تود أن تقول شيئاً لزوجتك قبل أن تذهب؟

ريشارد : (متمتماً) سوف نتقابل ثانية قبل... إيه؟ (يبتى دقيقة أن تتكلم) .

الجاويش : (بصوت مرتفع ينم عن الانشراح والسرور) أه، طبعاً. طبعاً. لا داعى لأن تحزن السيدة. ولكن... (يخفض من صوته كيلا يسمعه سوى ريشارد) فرصتك الأخيرة يا سيدى.

(ينظر أحدهما للآخر نظرات ذات معنى، ثم يخرج ريشارد زفيراً عميقاً ويلتفت نحو جوديث) .

ريشارد :(في نبرات واضحة) ياحبيبتى. (تنظر إليه، وقد امتقع لونها كثيراً، وتحاول أن تحييه، ولكنها لا تقدر... تحاول أن تأتى إليه، ولكنها لا تحس في نفسها القدرة على الوقوف بدون أن تعتمد على المنضدة) . هذا السيد الشجاع قد سمح لنا من كرمه ببرهة يودع كل منا الآخر فيها. (يتقهقر الجاويش بلباقة ويضم إليه رجاله عند الباب) هو يحاول أن يخفى عنك الحقيقة؛ ولكن الأفضل أن تعرفيها. هل أنت مصغية

إلى ؟ (تومىء بالإيجاب) هل تفهمين أنى ذاهب لأموت؟ (تومىء بأنها تفهم) تذكرى أنه يجب أن تبحثى عن صديقنا الذى كان معنا منذ قليل . هل تفهمين ؟ (تومىء بالإيجاب) اعملى على أن تبعديه فى مأمن عن موطن الخطر . لا تدعيه أبداً يعرف الخطر الذى أنا فيه ؛ ولكن إذا وقف على ذلك ، فأخبريه بأنه لن يستطيع أن ينقذنى : إنه إن يفعل ، يشنقوه ولا يبقوا علىّ . وأخبريه أيضاً بأنى متمسك بدينى كما هو متمسك بدينه ، وأن فى إمكانه أن يثق بى حتى الممات . (يتحول ليذهب ، فيلاقى عينه عين الجاويش ، الذى ينظر إليه فى ارتياب . يفكر لحظة ، وبعد ذلك يلتفت الى جوديث بشىء من الدهاء ، ويظهر على وجهه الجدى بعض الابتسام ويقول) والآن يا عزيزتى ، أخاف أن يعتقد الجاويش بأنك لا تحبيننى كزوجة ما لم تعطنى قبلة قبل أن أذهب .

(يقترب منها ويمد ذراعيه . فتترك مقعدها وتكاد تقع بينهما).

جوديث : (الكلمات تخنقها) من الواجب علىّ ... أن ... إنها لجريمة قتل.

ريشارد : لا : فقط قبلة (في حنو) من أجل خاطره .

جوديث : لا يمكنني . يجب عليك ...

ريشارد : (معطفا عليها بذراعيه مشفقا على حزنها) ياطفلتي المسكينة!

(تضع جوديث ذراعيها بمجهود فائق حوله ، تقبله ، ويغشى عليها ، فتهوى إلى الأرض كأن القبلة قد قتلتها).

ريشارد : (ذاهبا بسرعة نحو الجاويش) الآن أيها الجاويش فلنذهب بسرعة قبل أن تفيق . القيد (يمد يديه).

الجاويش : (واضعا القيد في جيبه) لا داعي ، ياسيدي : إني أثق بك . إنك لرجل شجاع . كان ينبغي أن تكون جنديا ، ياسيدي . بين الاثنين ، من فضلك . (يقف الجنديان ، أحدهما أمام ريشارد ، والثاني خلفه . يفتح الجاويش الباب).

ريشارد : (ملقيا حوله نظرة أخيرة) الوداع يازوجتي : الوداع يامنزلي . لا تقرعوا الطبل بشدة ، و بسرعة سر .

(يتقدم الجاويش إلى الخندق الأمامي ليسير . يخرجون في صف بسرعة) .

. . . .

. . . .

عندما يعود أندرسن من منزل مسز دادجين ، يدهش ، إذ يخيل إليه أن الغرفة خالية ، وتكاد تكون في ظلام إلا من

وهج النار ، إذ أن إحدى الشمعتين قد احترقت وكادت الأخرى أن تحترق .

أندرسن : ماذا ، يا إلهى ؟ (ينادى) جوديث ، جوديث !

(يمضى وما من مجيب) . إم !

(يذهب إلى الصوان ، يأخذ شمعة من الدرج ، ويشعلها من لهب الشمعة الباقية القائمة على المنضدة ، وينظر على ضوئها متفحصا للأشكال التى لم تلمس . ثم يضعها فى الشمعدان؛ ويخلع قبعته ؟ ويحك رأسه فى حيرة شديدة. وبعد الحركة ، تجعله ينظر إلى أسفل نحو أرض الغرفة لأول مرة ، فيرى جوديث ممددة لا حراك بها ، وعيناها مغلقتان ، يجرى نحوها ، وينحنى بجانبها ، رافعا رأسها).

جوديث : تستيقظ جوديث ، إذ أن إغماءها قد تحول إلى نوم كنوم الذى أسلمه الآلام) نعم . هل ناديت ؟ ماذا هنالك ؟

أندرسن : لقد أتيت الآن فقط ووجدتك راقدة هنا ، وقد احترقت الشمعتان ، وبرد الشاى فى الفنجانين. ماذا حدث ؟

جوديث : (لا تزال شاردة الذهن) لا أعرف . هل كنت نائمة ؟ أظن . . . (تسكت إذ لا تجد ماذا تقول) لا أعرف .

أندرسن : (مزمجرا) ليغفر الله لى ، ترك إياك وحيدة مع

ذلك الشرير . (تتذكر جوديث . تمسك بكتفيه ، صارخة صرخة ألم ، وتجر نفسها لتقف على قدميها عند ما يقوم هو معها ، يضمها بحنان بين ذراعيه) ياحبوبتي المسكينة !

جوديث : (صائحة منهدة) ماذا أفعل ؟ أه ياإلهي ماذا أفعل ؟

أندرسن : لاتهتمي ، لاتهتمي ، ياأعز أعزائي : إنها كانت غلطتي . هلمي : أنت الآن في مأمن ؛ وليس بك ضرر ، أليس كذلك ؟ (يسحب ذراعيه من حولها ليرى إذا كان في مقدورها أن تقف وحدها) هذا حسن ، هذا حسن . مادمت لم تصابي بسوء ، فلا يهمني أي شيء .

جوديث : لا ، لا ، لا : لم يصبني سوء .

أندرسن : شكرا لله من أجل ذلك ! هلمي الآن : (يأخذها إلى المقعد الطويل ويجلسها بجانبه عليه) إجلسي واستريحي : يمكنك أن تخبريني غدا بكل شيء . (مسيئا فهم أساها) لا تخبريني بشيء مطلقا إذا كان في هذا ما يؤلمك . هنا ، هنا ! سأعد لك شايا جديدا : إنه يعيد النشاط إليك . (يذهب إلى المنضدة ويفرغ الابريق في الحوض) .

جوديث : (بصوت مختنق متعب) تونى .

أندرسن : نعم ، ياعزيزتى ؟

جوديث : أتظن أننا الآن فى حلم ؟

أندرسن : (يلتفت نحوها لحظة بشىء كبير من القلق ، ولو أنه يستمر بثبات وانصراف فى وضع شاى جديد فى الابريق) هذا محتمل ، ياحبيبتى . ولكن يمكنك أن تعطى بفنجان من الشاى مادمت على وشك أن تتناوليه.

جوديث : أه ، صه ، صه . أنت لاتعرف (تضع وجهها فى يديها المشبكتين وهى مكتئبة) .

أندرسن : (تاركا المنضدة وذاهبا اليها) ياعزيزتى ماذا حصل؟ لم أعد أحتمل هذا بعد : يجب أن تخبرينى . لقد نجم كل ذلك عن غلطتى : كنت مجنونا لأثق به .

جوديث : لا : لا تقل هذا . يجب ألا تقول هذا . هو ... أه لا ، لا : لا أقدر . تونى : لا تكلمنى . خذ يدى ... كلتا يدى . (يأخذهما ، وهو يتعجب) اجعلنى أفكر فيك لا فيه . هناك خطر ، خطر عظيم : ولكنه خطر عليك أنت ، ولا يمكننى

أن أثابر فى التفكير فى ذلك : لا أقدر ، لا أقدر ؛ ينجب فكرى ثانية إلى الخطر المحدق به . يجب أن ينجو ... لا : يجب أن تنجو ، أنت ، أنت ، أنت . (تشب ناهضة كأنها تريد أن تعمل شيئا أو تذهب إلى مكان ، صائحه) آه ، لطفك يارب !

آندرس : (جاثيا على الكرسي ومسكا بيديها وهو ضابط لنفسه)

هدئى روعك ، هدئى روعك يا حبيبتى . أنت شاردة مشتته .

جوديث : ربما أكون كثيرا كذلك . لست أعرف ماذا أفعل . لست أعرف ماذا أفعل . (جاذبة يديها منه) لا بد أن أنجيه (يقوم آندرسن قوما عندما تجرى نحو الباب . تفتحه إسى فى وجهها ، وتهرول مسرعة إلى الداخل فى شىء كثير من القلق . تثور جوديث صفحه المفاجأة حتى أنه ليرجع إليها صوابها . تسأل فى صوت حاد غاضب) ماذا تريدين ؟

إسى : أمرت بالمجىء إليك .

جوديث : من أمرك ؟

إسى : (ملاقاة آندرسن ، كأن وجوده يهمها) أأنت هنا ؟

جوديث : طبعا لا تكونى غبية ، أيتها الطفلة .

أندرسن : (ملاطفا) يا عزيزتى : إنك تخيفينها (يذهب عنهما) تعالى هنا ، يا إيمى ! (تذهب إليه) من الذى أرسلك ؟

إيمى : ديك . أرسل لى كلمة مع أحد الجنود بأن آتى إلى هنا وأعمل ما تخبرنى به مسز أندرسن .

أندرسن : (مستنيرا) أحد الجنود ! آه ، إنى أفهم كل شئ الآن ! لقد قبضوا على ريشارد (تشير جوديث اشارة تدل على اليأس) .

إيمى : لقد سألت الجندى . إن ديك فى مأمن . لكنه أخبرنى بأنك أنت الذى قبض عليك .

أندرسن : (مبهوتا ، يلتفت الى جوديث لتوضح الأمر) .

جوديث : (برقة) حسنا ، يا عزيزى : قد فهمت : (الى إيمى) أشكرك يا إيمى على مجيئك : ولكنى لست فى حاجة إليك الآن . يمكنك أن تعودى إلى منزلك .

إيمى : (فى ريبة) هل أنت واثقة من أن ديك لم يمس بسوء ؟ ربما هو الذى طلب إلى الجندى أن يقول

بأن المقبوض عليه هو القسيس . (في قلق) مسز
أندرسن : هل تظنين أن هذا ربما يكون الواقع ؟

أندرسن : أخبريهـا الحقيقة إن كانت كذلك يا جوديث .
إنهـا ستعرفها من أول جار تقابله في الشارع .
(تلتفت جوديث بعيدا وتغطى عينيها بيديها) .

إسى : (صرخة صائحة) ولـكن ماذا سيفعلون به ؟ أوه ،
ماذا سيفعلون به ؟ هل سيشنقونه ؟ (ترتجف جوديث
وترمى بنفسها في الكرسي الذي كان ريتشارد جالسا عليه
عند المنضدة) .

أندرسن : (يربت كتف إسى بيده ويحاول أن يواسيها) أرجو لا .
أرجو لا . ربما استطعنا إذا لزمت السكون
واعتصمت بالصبر ، من أن نجد وسيلة لمساعدته .

إسى : نعم — ساعده — نعم ، نعم ، نعم . سأكون
بنتا طيبة .

أندرسن : لابد أن أذهب إليه حالا . يا جوديث .

جوديث : (تثب قائمة) أوه لا . يجب أن تذهب بعيدا ...
بعيدا جدا ، إلى مكان أمين .

أندرسن : يوه !

جوديث : (منفعلة) هل تريد أن تقتلني ؟ هل تظن أنه

يمكنني أن أعيش أياما وأياما ، وفي كل طرقة
باب — وفي كل وقع قدم — مصدر لرعبي وفزعي؟
أو أن أرقد بقلبي ليالي وليالي في عذاب الخوف ،
مصغية إليهم ليأتوا و يقبضوا عليك؟

أندرسن : هل ترين أن الأفضل أن يعرف الناس عني أني
فررت من الميدان عند أول إشارة خطر ؟

جوديث : (بمرارة) آه ، إنك لا تريد الهرب . أنا أعرف
ذلك . ستبقى وأنا سأجن .

أندرسن : يا عزيزتي : إن واجبك ...

جوديث : (بحدة) ماذا يهمني من أمر واجبي ؟

أندرسن : (دهشا) جوديث !

جوديث : إني أقوم بواجبي . إني متعلقة بواجبي . واجبي ،
هو أن أسعدك ، هو أن أبعدك ، هو أن أقتنك ،
هو أن أتركه لقضاء الله (تصرخ إلى صرخة يأس
وترتمي في الكرسي بجانب النافذ تبكي في سكون) .
إن شعوري كشعورها — أن نقتله قبل كل شيء ،
ولو أن الأفضل له أن يموت ! نعم الأفضل كثيرا !
ولكني أعرف أنك ستتبع رأيك كما فعل هو .

وأنا ليس فى استطاعتى شىء . (تجلس مكتئبة على الكرسى الطويل) أنا امرأة فقط : ليس فى مقدرتى أن أفعل شيئا سوى أن أجلس هنا وأقاسى ... فقط ، أخبره أننى حاولت أن آجيك ... أننى بذلت كل ما فى وسعى كى آجيك .

أندرسن : يا عزيزتى : إنى أظن ، أنه سيفكر فى خطره هو أكثر من تفكيره فى خطرى أنا .

جوديث : صه ، وإلا كرهتك .

أندرسن : (متأسفا) تعالى ، تعالى ، تعالى ! كيف أتركك وأنت تتكلمين على هذا الوجه ؟ لقد فقدت رشدك ولا شك . (يلتفت إلى إسى) إسى .

إسى : (تقوم بلهفة تمسح دموعها) نعم ؟

أندرسن : انتظرى فى الخارج قليلا ، وكونى بنتا طيبة . إن مسز أندرسن متوعكة . (تنظر إسى نظرة شك) لا تخافى أبدا . سأكون معك حالا ، وسأذهب إلى ديك .

إسى : هل أنت واثق من أنك ستذهب إليه ؟ (هامسة) إنك لن تدعها تقف فى سبيلك ؟

أندرسن : (مبتسما) لا ، لا : سيكون كل شيء على ما يرام.. على ما يرام . (تذهب) أنت بنت طيبة . (يغلق الباب ، ويرجع إلى جوديث) .

جوديث : (وهي جالسة ، متصلبة) أنت ذاهب إلى موتك

أندرسن : (مداعبا) إذن سألبس أحسن سترة عندي ، يا عزيزتي : (يلتفت نحو الخزانة ، ويبدأ في خلع سترته) أين ... ؟ (ينظر لحظة إلى وتد المشجب الذي لا يحمل شيئا ؛ ثم يلتفت بسرعة نحو النار ؛ يخطو نحوها ، ويمسك بسترة ريشارد) . ماذا ، يا عزيزتي ، يظهر أنه لبس أحسن سترة عندي .

جوديث : (لا تزال دون حراك) نعم .

أندرسن : هل ارتكبت الجنود خطأ ؟

جوديث : نعم : ارتكبوا خطأ .

أندرسن : كان في إمكانه أن يخبرهم . الرجل المسكين ، أظن ، أنه كان مهموما جداً .

جوديث : نعم ، كان في إمكانه أن يخبرهم ، كذلك كان في إمكاني أيضا .

أندرسن : عجبا ، كل هذا ليُحيِّر كثيرا ... كل هذا

يكاد يكون مضحكا . إنه لمدهش كيف أن مثل هذه الأمور الصغيرة تؤثر فينا بقوة ، حتى فى أعظم . . . . . . (يقف عن الكلام ويبدأ فى لبس سترة ريشارد) الأحسن أن آخذه سترته . إنى أعرف ماذا سيقوله . . . (مقلدا لهجة ريشارد التهكمية) « مشفق على روحى ، أيها القسيس ، وكذلك على أحسن سترة عندك .» إه ؟

جوديث : أجل إن هذا ماسيقوله لك تماما (شاردة) لم أعد أهتم . إننى لن أرى أحداً منكما ثانية .

أندرسن : (يحاول أن يرجعها إلى صوابها) أه يوه ، يوه ، يوه ! (يجلس الى جانبها) أهكذا تحافظين على وعدك إياى بأننى لن أخجل من زوجتى الشجاعة ؟

جوديث : لا . بل هكذا أتخلى عن عهدى ، ليس فى استطاعتى أن أفى بما وعدته هو به ؛ فلماذا أفى بما وعدتك أنت ؟

أندرسن : لاتقولى مثل هذا الكلام الغريب ، ياحبيبتى . إنه ينم عن عدم إخلاص (تنظر اليه نظرة حانية) نعم ، ياعزيزتى ، الكلام الفارغ لايدل على

إخلاص ، وهذه زوجتى وأعز عزيزة لدى تتكلم الآن كلاما فارغا . كلاما فارغا حقا . (يظلم وجهها وينم عن عزم صامت . تنظر أمامها ، ولا تنظر إليه ثانية ، مفكرة فى حدث يتذكره . أما أندرسن فيراقب وجهها ، ويرى أن محاولته فى حملها تستجمع قواها لم تأت بثمرة فيصمت ولا يحاول أن يعى قلقه) . كم أود أن أعرف ماذا يخيفك كل هذا الخوف . هل كان هناك شجار ؟ هل قاوم ؟

جوديث : لا . إنه ابتسم .

أندرسن : أتظنين أنه قدّر الخطر الذى هو فيه ؟

جوديث : لقد قدر الخطر الذى أنت فيه .

أندرسن : الخطر الذى أنا فيه ؟

جوديث : (فى همسة لا تتغير) قال لى « احملى على أن تبعديه فى مأمن من موطن الخطر » . فوعدته ذلك : لكنى لا أستطيع أن أفى بوعدى . قال « لا تدعيه ما أمكنك يعرف الخطر الذى أنا فيه » . ولقد أخبرتك بذلك . وقال إنك إذا وقفت عليه ، فلن يمكنك أن تنجيه .. وإنك إن تفعل يشنقوه ولن يبقوا عليك .

أندرسن : (قائما بكبرياء بالغة) وهل تظنين أنني أترك رجلا فيه كل هذا الخير يموت موت الكلب ، في حين أن بعض كلمات قلائل ربما جعلته يموت كما يموت المسيحي . إنني خجل منك ، ياجوديث .

جوديث : وسيكون متمسكا بدينه كما أنك متمسك بدينك ، وإن في إمكانك أن تثق به حتى الممات . لقد قال ذلك .

أندرسن : غفر الله له ! ماذا قال أيضا ؟

جوديث : قال الوداع .

أندرسن : (متشيأ في الغرفة مضطربا ومفكرا) الرجل المسكين ! الرجل المسكين ! أرجو أن تكوني قد قلت له الوداع بكل كرم ورفق ، ياجوديث .

جوديث : إنني قبلّته .

أندرسن : ماذا ! جوديث !

جوديث : هل أغضبك هذا ؟

أندرسن : لا ، لا . لقد أصبت : لقد أصبت . الرجل المسكين ، (في أسف شديد) يُشنق على هذه الصورة وفي سنه هذا ! وبعد ذلك هل أخذوه ؟

جوديث : (متعبة) وبعد ذلك كنتَ هنا: هذا هو الشيء التالي الذي أذكره. أظن أنه أغمى عليّ. الآن ودعنى، ياتونى. ربما يغمى عليّ ثانية. كم أود أن أموت.

أندرسن : لا، لا، ياعزيزتي: يجب أن تستجمعى قواك وتكونى عاقلة. ليس هناك خطر عليّ ... ولا أقل خطر في الحياة.

جوديث : (في هدوء ورزانة) أنت ذاهب إلى موتك، ياتونى ... موتك المحقق، إذا أراد الله أن يُقتَّل الأبرياء. إنهم لن يسمحوا لك برؤيته: سيقبضون عليك حالما تطيهم اسمك. إنه من أجلك أتت الجنود.

أندرسن : (مصعوقاً) من أجلى !!! (تنقبض يداه، وتنتفخ رقبته؟ ويحمر وجهه وعنقه. ماتحت بشرته يعم ساخن. يختفي رجل السلام، ويظهر بدلا منه، رجل صحراوى، رجل حرب تقليدي. ومع ذلك فهي تظل غارقة في أفكارها فلا تنظر إليه: عيناها ثابتتان كأن ثبات ريتشارد قد انعكس عليهما).

جوديث : لقد أخذ مكانك: هو يموت لينقذك. هذا هو

السبب الذى من أجله ذهب فى سترتك . هذا هو السبب الذى من أجله قبلته .

أتدرمن : (مستشيطا من الغضب) يالله ! (فى صوت أجش وفى لهجة الآمر الذى تتم حركاته عن نشاط عنيف) هنا ! إمى ، إمى !

إمى : (تدخل مسرعة نحوه) نعم .

أتدرمن : (يحدق وجهه) إذهبى بأقصى سرعتك ، إلى الفندق . أطلبى إليهم أن يسرجوا أسرع وأقوى حصان لديهم (تقوم جوديث ، وقد وقفت بنفسها وتنظر إليه كأنها لا تصدق) . . . المُهْرَة السمراء ، إذا لم تكن متعبة ... لاتدعيهم يتوانون فى ذلك لحظة . أدخـلى فناء الحظيرة وأخبرى الرجل الأسود هناك أننى سأعطيه ريالا من الفضة إذا وجدت الحصان فى انتظارى عندما أحضر ، وأننى سأكون فى أثرك . أسرعى (يرسل تشاطه إمى طائرة من الحجرة . يثب نحو حذاء الركوب ، ويندفع به إلى الكرسى بجانب المدفأة ويبدأ أن يلبسه).

جوديث : (غير قادرة على أن تصـدق منه مثل هذا) أنت لست ذاهبا إليه !

أندرسن : (مشغول بلبس حذائه) ذاهب إليه ! أى فائدة تأتى من هنا ؟ (يرجع لنفسه وهو يضع أحد قدميه فى حذائه بعنف) إنى ذاهب إليهم ، هذا ما سأفعله . (إلى جوديث فى حزم وطبيعة الأمر) أحضرى لى المسدسين :

أنا فى حاجة إليهما ؟ والنقود . النقود : أنا محتاج إلى نقود ... كل النقود التى فى المنزل (ينحنى على الحذاء الثانى مزمجرا) كم يرضيه كثيرا أن أرافقه على المشنقة . (يلبس الحذاء شدا).

جوديث : إنك متخل عنه ، إذن ؟

أندرسن : أجبسى لسانك ، أيتها المرأة وأحضرى لى المسدسين (تذهب إلى الخزانة وتأخذ منها حزاما من الجلد ، مثبتا فيه المسدسان والكيس الذى يوضع فيه الرصاص . ترمى به على المنضدة ثم تفتح بالمفتاح درجا فى الخزانة وتخرج كيس النقود . يمسك أندرسن بالحزام ، ويلبسه قائلا) إذا كانوا قد ظنوه إياى فى سترتى ، فربما يظنوننى إياه فى سترته . (واضعا الحزام فى موضعه) هل أشبهه الآن ؟

جوديث : (تلمس كيس النقود فى يدها) شتان ما بينكما بينه.

أندرسن : (يختطف الكيس منها ويفرغ ما فيه على المنضدة) إم! سوف نرى.

جوديث : (تجلس في يأس) هل تظن، يا توني، أن هناك فائدة من الابتهال بالصلاة.

أندرسن : (يعد النقود) صلاة! هل يمكننا أن نُنجّي بالصلاة رقبة ريشارد من مشنقة سوندن؟

جوديث : عسى الله أن يرقق قلب ماجور سوندن.

أندرسن : (بازدراء، واضعاً في جيبه ملء يده من النقود) دعيه، إذن. لست أنا الله: ولا بد أن أذهب لأسلك طريقا آخر (تفتح جوديث فمها، وتحدق أمام هذا الكفر، بينما هو يلقي بالكيس على المنضدة) أحتفظي هنا. قد أخذت خمسة وعشرين ريالا.

جوديث : هل نسيت حتى أنك قسيس؟

أندرسن : قسيس لم... أوخ! قبعتي: أين قبعتي؟ (يخطف قبعته وعباءته، ويلبس كليهما بسرعة رائعة) الآن اصغ إلى. إذا أمكنك أن تتصل به متظاهرة بأنك زوجته، فأخبريه بأن يمسك عن الكلام حتى الصباح: إن هذا يعطيني فرصة البدء التي أنا في حاجة إليها.

جوديث : (فى هدوء ورزانة) يمكنك أن تعتمد عليه حتى الممات .

أندرسن : أنت غبية ، غبية ياجوديث . (يوقف تيار سرعته لحظة ، ويعود إلى لهجته العادية الهادئة ويتكلم فى تعقل وتؤدة) إنك لا تعرفين الرجل الذى أنت زوجته . (ترجع إسى - يتبعها تو) حسنا : هل أعدوا الحصان؟

إسى : (بنفس متقطع) سيكون مستعدا عندما تصل .

أندرسن : حسنا . (يذهب نحو الباب) .

جوديث : (تقوم وهى تمد ذراعيها وراءه بدون أن تشعر) ألا تريد أن تودعنى ؟

أندرسن : وأضيع نصف دقيقة أخرى ! بشا ! (يندفع للشارع بسرعة كالريح) .

إسى : (مسرعة إلى جوديث) لقد ذهب لينجى ريشارد ، أليس كذلك ؟

جوديث : لينجى ريشارد ؟ لا : إن ريشارد قد نجاه . وهو ذاهب لينقذ نفسه . ريشارد لا بد هالك .

تصرخ إسى فى فزع وتجثو على ركبتيها ، مخفية وجهها . تنظر جوديث أمامها فى جمود بدون أن تكترث بالبنت ، متخيلة منظر ريشارد يموت .

الفصل الثالث

المنظر الاول

فى ساعة مبكرة ، من الصباح التالى ، يفتح الجاويش بباب حجرة جلوس صغيرة خالية فى قاعة المجلس البلدى ، مركز قيادة الانجليز ، ويدعو جوديث الدخول فيها . لقد قضت ليلة تعسة ، بل ربما كانت ليلة مليئة بالهذيان ؛ إذ أنه حتى فى ضوء الصباح الواضح ، لاتزال تعاودها نظراتها المثبتة عندما لا يكون انتباهها متطلبا بشدة .

يحس الجاويش أن مشاعرها صادقة ، فيعطف عليها بشكل عسكرى مشجع . و يرى فى قوامه الجميل ، وفى ملبسه ورتبته اللذين يفخر بهما ، ما يجعله يعتقد بأنه أهل بنوع خاص ، لأن يواسيها فى ظرف .

الجاويش : يمكنك أن تتحدثى معه هنا فى سكون ، ياسيدتى

جوديث : هل سأضطر إلى الانتظار طويلا .

الجاويش : لا ، ياسيدتى ، ولا دقيقة واحدة . لقد أبقيناه فى السجن طول الليل ، وأحضرناه الآن فقط ،

للمحاكمة العسكرية . لا تخزنى ياسيدتى : إنه نام كما ينام الطفل ، وأفطر إفطارا طيبا فوق العادة .

جوديث : (متشككة) هل هو منشرح الصدر ؟

الجاويش : جدا جدا ، ياسيدتى ، لقد زاره قسيس الجيش الليلة الماضية فكسب منه سبعة عشر شلنا فى لعب الورق . . ثم صرف المبلغ علينا فى الواجب بالمعنى الصحيح . الواجب هو الواجب ، ياسيدتى بالطبع ، ولكنك بين أصدقاء هنا . (تسمع خطوات جنديين سائرين مقتربين) ها : أظن أنه قادم .

(يدخل ريشارد ، بدون أن يظهر على وجهه علائم الكدر أو أنه سجين . يومىء الجاويش إلى الجنديين ، ويرجعا مفتاح الغرفة فى يده منسحبان) زوجتك الفاضلة يا سيدى .

ريشارد : (قائما إليها) ماذا ! زوجتى . محبوبتى . (يأخذ يدها ويقبلها فى قدم الرجل الخبيث الشاكى) كم من الزمن تمنحون زوجا ممزق القلب ، كى يودع زوجته يا حضرة الجاويش ؟

الجاويش : أطول مدة ممكنة ياسيدى . لن نزعجك حتى تنعقد المحكمة .

ريشارد : ولكن الساعة قد أزفت.

الجاويش : هذا صحيح ، ياسيدى ، ولكن هناك بعض التأخير. لقد وصل الجنرال برجوين .. نحن نسميه « السيد جونى » ، ياسيدى .... وهو لن يفرغ من انتقاداته لكل شيء قبل نصف ساعة . إنى أعرفه ، ياسيدى : لقد خدمت معه فى البرتغال . يمكنك أن تضمن عشرين دقيقة ، ياسيدى واسمح لى ، فلن أضيع أكثر مما ضيعت منها .

(يخرج مغلقا الباب ، تزول علائم الجيتة عن ريشارد ويلتفت إلى چوديث بإخلاص واهتمام) .

ريشارد : مسز أندرسن : إن هذه الزيارة لكرم منك . كيف حالك بعد الليلة الماضية ؟ لقد اضطررت إلى أن أتركك قبل أن تفيق ، ولكنى أرسلت كلمة إلى إسى كى تحضر وتخدمك . هل فهمت الرسالة ؟

چوديث : (باهتمام وقد وقف تنفسها) أرجو لاتفكر فىّ . إنى لم أحضر هنا لأتكلم عن نفسى . أهم مصممون على ... على ... (تدنى على شفتك).

ريشارد : (من غير اكتراث) عند الظهر ، بالضبط . على الأقل .
هذا مافعلوه عندما تخلصوا من عمي بيتر . (ترتيف)
هل زوجك في أمان ؟ هل هرب ؟

جوديث : لم يعد زوجي بعد .

ريشارد : (عاقدا بيديه) إه ؟

جوديث : لقد عصيتك وأخبرته بكل شيء . كنت أنتظر
أن يأتي هنا وينجيك . وقد رغبت في أن يأتي
هنا وينجيك . ولكنه بدلا من ذلك هرب .

ريشارد : حسنا ، هذا ما قصدت أن يفعل . أي خير كان
يأتي من بقائه ؟ إنهم كانوا يشنقوننا نحن الاثنين

جوديث : (بعتاب حدى) ريشارد دادجن : بشرفك ، ماذا
كنت تفعل لو كنت بمكانه ؟

ريشارد : كما فعل تماما ، بالطبع .

جوديث : أه ، لماذا لا تكون بسيطا معي ... وصادقا
وصريحا . إذا كنت أنانيا لهذه الدرجة ، فلماذا
تركتهم يأخذونك الليلة الماضية ؟

ريشارد : (في مرح) وحياتي ، يامسز أندرسن ، لا أعرف .
منذ الليلة الماضية ، وأنا أسائل نفسي عن ذلك ..

ولا يمكننى أن أجد أى سبب لما فعلت .

جوديث : أنت تعرف أنك فعلت ذلك من أجله ، معتقداً أنه أحسن منك رجلا .

ريشارد : (ضاحكا) أهُو ! لا : يجب أن أقول ، إن هذا سبب وجيه ؛ ولكنى لست متواضعا لهذه الدرجة . لا : لم يكن ذلك من أجله .

جوديث : (بعد فترة ، و أثنائها تنظر بخجل إليه ، وقد احمر وجهها بشدة) هل كان ذلك من أجل أنا ؟

ريشارد : (فى نبل) حسنا ، كان لك يد فى ذلك . لا بد أنه كان من أجلك بعض الشىء . ومع كل هذا فلقد صحت لهم بأخذى .

جوديث : آه ، أتظن أنى لم أقل لنفسى هذا طول الليل ؟ إن موتك سيكون فى فكرى دائما . (جون تفكير ، تعد له يديها ، وتسترسل فى الكلام ، حادة كل الحدة) إذا كنت أستطيع أن أحييك كما تحييه ، فإنى أفعل ذلك ، مهما كان فى الموت من عذاب .

ريشارد : (ممسكا يديها ومقبلها ، ولكن يبعدها بإطاعته قيد ذراع) أنا واثق كل الوثوق من أنى لن أسمح لك بذلك .

جوديث : ألا ترى أن فى إمكانى أن أنقذك ؟

ريشارد : كيف ذلك ؟ بمبادلة كل منا ملابس الآخر، إه ؟

جوديث : (تسحب يده من تحت فمها على شفته) لا . (تنهض ولا تمزح)
لا : بأن أخبر المحكمة من أنت حقا .

ريشارد : (عابساً) لا فائدة : إنهم لن يطلقوا سراحى ؛
وإن ذلك ليفسد عليه كثيراً فرصة هربه : إنهم
مصممون على إرهابنا بجعل أحدنا اليوم عبرة على
تلك المشنقة . حسنا ، دعينا نرهبهم بأن نريهم
كيف يمكن أن يقف كل منا إلى جانب أخيه
حتى الموت . إن هذه هى القوة الوحيدة التى ترسل
برجوين إلى الشاطىء الآخر من الاطلانطيقى ،
والتى تكوّن من أمريكا شعبا .

جوديث : (فى قلق) أه . ماذا يهم كل هذا ؟

ريشارد : (ضاحكا) حقيقة : ماذا يهم هـذا ؟ وماذا يهم
أى شىء ؟ أنت ترين ، أن الرجال يرون هذه
الأفكار الغريبة ، يا مسز أندرسن ، والنساء
يرين خطأ هذه الأفكار .

جوديث : إن النســاء لتضطر إلى فقد أحبائهن بسبب هذه الأفكار .

ريشارد : يمكنهن ، بكل سهولة ، أن يحصلن على أحباء جدد .

جوديث : (مشمئزة) آه ! (بازدراء) هل أنت مقدر أنك مقدم على قتل نفسك ؟

ريشارد : أنا الرجل الوحيد الذى له الحق فى أن يقتل نفسه ، يا مسز أندرسن . لا تخافى : لن تفقد امرأة حبيبها بموتى . (منتبها) بارك الله فيك ، أنا لا يحبنى أحد . هل سمعت بأن أمى قد ماتت ؟

جوديث : ماتت !

ريشارد : من مرض القلب . . ليلا كانت آخر كلمة منها إلىّ لعنتها إياى : أظن أننى ما كنت أطيق مباركتها . لن يحزن أقاربى الآخرون كثيرا علىّ . إسى سوف تبكى يوما أو يومين ، ولكنى أعددت اللازم لها ، لقد كتبت وصيتى الليلة الماضية .

جوديث : (متصلبة ، بعد برهة سكوت) وأنا !

ريشارد : (مندهشا) أنت ؟

جوديث : نعم ، أنا . ألا أهتم لك مطلقا ؟

ريشارد : (يمرح ويسرعة) ولا ذرة . أه ، لقد عبرت عن شعورك نحوى بكل صراحة بالأمس . وبما أن ملامحك جعلك ترقين إلى حين ؛ ولكن صدقيني ، يا مسز أندرسن ، أنت لا تميلين إلى عظمة من جسدى أو شعرة فى رأسى . سيكون شعورك اليوم الساعة الثانية عشرة كما لو كان بالأمس الساعة الثانية عشرة .

جوديث : (يرتعد صوتها) ماذا يمكنني أن أفعل كي أبرهن على خطئك ؟

ريشارد : لا تتعبي . سأصدق منك أنك تميلين لي أكثر قليلا من ذى قبل . كل ما أود أن أقوله هو أن موتي لن يمزق قلبك .

جوديث : (تكاد تهمس) كيف تعرف ؟ (تضع يديها على كتفيه وتنظر إليه باهتمام) ؟

ريشارد : (متعجبا — مستشعرا بالحقيقة) مسز أندرسن ! (تدق ساعة المجلس البلدى الربع . يستجمع قواه ويزيح يديها قائلا ببرود) معذرة . سيأتون هنا لأجلى حالا . لقد سبق السيف العذل .

جوديث : لَمَّا يسبق السيف العذل . اصغِ كشاهدة : إنهم لن يقتلوك عندما يعرفون كيف كنت شهماً فى مسلكك .

ريشارد : (فى بعض التهكم) حقيقة ! ولكن إذا لم أمضِ فى مسلكى ، فأين تكون الشهامة ؟ ما أكون فقط قد خدعتهم ، وسيشنقوننى هنا كما لو كنت كلباً وأكون مستحقاً لذلك أيضاً !

جوديث : (بحدة) لم ، أعتقد أنك تريد أن تموت .

ريشارد : (بمرارة) لا ، لا أريد أن أموت .

جوديث : إذن لماذا لا تحاول أن تنقذ نفسك ؟ أتوسل إليك .. اصغ إلىّ . لقد قلتَ الآن إنك أنقذته من أجلى .. نعم (ممسكة به عند مابيتعد وهو يبدى إشارات التى) قليلا من أجلى . حسناً ، أنقذ حياتك من أجلى . وأنا أذهب معك حتى نهاية العالم .

ريشارد : (يأخذ معصميها ويمسكها بحيث تكون بعيدة عنه قليلا ، وينظر إليها بثبات) جوديث .

جوديث : (وقد انقطع نفسها — يسرها نطقه باسمها) نعم .

ريشارد : إن أنا قلت — كى أرضيك — إننى فعلت

مافعلت من أجلك قليلا ، فإنى كذبت كما تكذب الرجال دائما على النساء . أنت تعرفين كم عاشرت رجالا ساقطين — أجل ، ونساء ساقطات أيضا . لقد كان فى مقدور هؤلاء أن يسموا إلى درجة من الصلاح والعطف ، وذلك حينما كانوا يشعرون بالحب . (إنه ينطق كلمة « الحب » بازدراء شديد) لقد تعلمت من ذلك ألا أقدر ذلك الصلاح الذى يُشعَر به فقط فى ساعات الانفعال الشديد . إن ما فعلته الليلة الماضية ، فعلته وأنا فى حالتى الطبيعية ، بدون أن أهتم بزوجك ، أو (بقسوة) بك (تتأسى ، مدهشة) أكثر من اهتمامى بنفسى . لم يكن لى دافع أو مقصد : كل مايمكننى أن أقوله لك هو إنه عندما فكرت فيما إذا كنت أعقد رقبتى من حبل المشنقة لأضع فيه رقبة رجل آخر ، لم أستطع أن أفعل . لاأعرف لماذا لايكون ذلك . إنى لأرى نفسى مجنوناً للتسبب فى مقاساتى وآلامى . ولكنى لم أستطع ولا أستطيع . لقد نشأت متبعا قانون طبيعتى الخاصة ، ولا يمكننى أن أخالفه ،

سواء أكانت هناك مشنقة أم لا . (إنها كانت ترفع رأسها ببطء وهى الآن تنظر إليه بكل وجهها) إنى كنت أفعل مثل مافعلت لأى رجل آخر فى البلدة ، أو لزوجة أى رجل آخر . (تاركا إياها) هل تفهمين ذلك ؟

جوديث : نعم : أنت تعنى أنك لاتحبنى .

ريشارد : (مستثيرا — باحتقار مهين) هل هذا كل مايعنيك من الأمر ؟

جوديث : أى شىء أكثر من هذا ... أى شىء أسوأ من هذا يمكن أن يعنينى ؟ (يدق الجاويش الباب فتصدع دقة النافذ قلبها) آه ، لحظة واحدة (تسقط على ركبتيها) أتوسل إليك ...

ريشارد : إش ! (منادياً) أدخل . (يفتح الجاويش الباب ، الحراس فى صحبته) .

الجاويش : (يدخل) انتهى الزمن ، ياسيدى .

ريشارد : أنا على تمام الاستعداد ، ياجاويش . الآن ، ياعزيزتى . (يحاول أن يرفعها) .

جوديث : (متعلقة به) فقط شىء واحد — أتوسل إليك ،

أتضرع إليك . إسمح لى بالحضور فى المحكمة .
لقد قابلت ماچور سوندن : وقال بأن ليس مايمنع
من السماح لى بالحضور إذا طلبتَ أنت ذلك.
سوف تطلب ذلك . إن هذا سيكون آخر رجائى
منك . لن أسألك شيئا آخر بعده . (تمسك
بركبتيه) إنى أرجوك ، وأتوسل إليك .

ريشارد : إن فعلتُ هذا فهل تلزمين الصمت ؟

چوديث : أجل .

ريشارد : هل تفين بوعدك ؟

چوديث : نعم أفى ... (تمسك عن الكلام وتبكى) .

ريشارد : (آخذا ذراعها بيدها) فقط ... ذراعها الآخر ،
ياچاويش.

(يخرجون ، يسندها الاثنان ، وهى تبكى متشبثة) .

المنظر الثانى

فى هذه الأثناء تكون حجرة المجلس معدة لأن تنعقد فيها المحكمة العسكرية. والحجرة فخمة وكبيرة قد وضع فى وسطها عرش تحت ظلة ممدودة عليها تاج مذهب، وستائر ذات لون بنى منقوش عليها الحرفان الملكيان G. R. (ج . ر . إشارة إلى اسم الملك جورج) وأمام العرش منضدة، عليها غطاء ذو لون بنى أيضا، عليها جرس، ومحبرة ثقيلة، وأدوات الكتابة، وقد رتبت حولها مقاعد كثيرة. والباب عن يمين الجالس على العرش، وهو الآن خال من قاعدين. يجلس ماجورسوندن، وهو رجل شاحب الوجه، ذو شعر أصفر مشرب بحمرة، شديد الحساسية، يبلغ من العمر خمسا وأربعين سنة، يجلس عند طرف المنضدة، يكتب، وظهره للباب. يظل منفردا فى الحجرة حتى ينادى الجاويش فى صوت خاشع معلنا مجىء الجنرال. وهذا يدل على أن السيد جونى، قد أشعر الجميع بثقل وجوده.

الجاويش : الجنرال، ياسيدى.

(يقف سوندن بسرعة. يدخل الجنرال ويخرج الجاويش. الجنرال برجوين رجل رزين فى الخامسة والخمسين من عمره. أنيق، شجاع، مقدام، حتى أنه هرب ليتزوج زوجة

ممتازة ، ليل حتى أنه يستطيع أن يكتب روايات هزلية ناجحة ، ارستقراطى النسب حتى انه أتيحت له فرص الرقى بامتياز فى الجيش . عيناه واسعتان ، لامعتان ، تشفان عن ذكاء وتلهم وهما أظهر ما فى وجهه : إذ بدونهما قد يتم أنفه الدقيق وفمه الصغير عن عجرفة أكثر وقوة أقل من أن يجعلا منه قائدا حربيا من الدرجة الأولى . أما عيناه الآن فغاضبتان حزينتان ، والفم والأنف جامدان) .

برجوين : ماچور سويدن ، على ما أظن .

سويدن : نعم ، چنرال برجوين ، إذا لم أكن خاطئا .

(يحيى كل منهما الآخر فى أدب) إنى مغتبط لحضورك هذا الصباح كما أستعين بك . ليس شنق القسيس بالمهمة السارة .

برجوين : (يرتمى فى كرسى سويدن) لا ، ياسيدى ، إنها ليست سارة . نحن نعطى الرجل أهمية أكبر بشنقه : ماذا كنت تفعل أكثر من هذا لو كان الرجل تابعا للكنيسة الإنجليزية ؟ التضحية ، ياسيدى ، هى مايحبه هؤلاء الناس : إنها الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى شهرة الإنسان بدون مشقة وكفاءة . مع ذلك ، فلقد طلبت منا شنقه ؛ وكلما أسرعنا بذلك كان أحسن وأفضل .

سوندن : لقد تأهبنا لأن يكون الشنق فى الساعة الثانية عشرة ولم يبق الآن إلا أن نحاكمه .

برجوين : (ينظر اليه فى غضب مكبوت) ربما لم يبق .... سوى أن تنقذوا رقابكم . هل سمعت بالأخبار من سبرنجتون ؟

سوندن : لاشىء بنوع خاص. إن التقارير الأخيرة مرضية.

برجوين : (قائما فى دهشة) مرضية ، ياسيدى ! مرضية ! ! (يحملق فيه لحظة ، ثم يضبط فى جد كثير) يسرنى أن تكون هذه وجهة نظرك بإزائها .

سوندن : (فى حيرة) هل أفهم أن رأيك . . .

برجوين : إنى لا أعبر عن رأيى . إنى لا أنزل بنفسى إلى عادة السب واللعن التى تحط لسوء الحظ من مهنتنا . إن فعلتُ ، ياسيدى ، فلربما إذن أتمكن من أن أعبر لك عن رأيى فى الأخبار التى وصلت من سبرنجتون .... الأخبار التى (بشدة) يظهر أنك لم تسمعها . كم من الزمن يستغرق وصول الأخبار إليك من مساعديك هنا ؟ شهراً ، إه ؟

سوندن : (مكابرا) أظن أن التقارير قد أخفت إليك ، يا سيدى ، بدلا منى . هل هناك شىء جلل ؟

برجوين : (آخذا تقريرا من جيبه ورافعا به إلى أعلا) إن سيرغيتون فى أيدى الثوار . (يرمى بالتقرير على المنضدة)

سوندن : (فزعا) منذ الأمس !

برجوين : منذ الساعة الثانية من هذا الصباح . ربما نكون فى قبضة أيديهم قبل الساعة الثانية من صباح الغد . هلا فكرت فى ذلك ؟

سوندن : (فى ثقة) أما من حيث هذا الأمر ، يا سعادة القائد ، فإن الجندى البريطانى سيبرهن على كفاءته .

برجوين : (فى مرارة) وعلى ذلك ، أظن ، ياسيدى أنه ليس من الضرورى للضابط البريطانى أن يعرف مهمته : إذ أن الجندى البريطانى سيتقدم بالبندقية من كل أخطائه . لا بد أن أطلب إليك ، ياسيدى ، أن تكون فى المستقبل أقل سخاوة بدماء رجالك ، وأكثر كرما فى إعمال عقلك .

سوندن : أنا آسف حيث لا أستطيع أن أتظاهر بمثل عقليتك الفذة ، ياسيدى . يمكننى فقط أن أبذل كل

ما فى وسْعى ، وأعتمد على إخلاص بنى وطنى .

برجوين : (يصيح متهكما منه) هل تسمح لى أن أسألك إذا كنت تكتب رواية تمثيلية ، ياماجور سونمن ؟

سونمن : (محمر الوجه) لا ، ياسيدى .

برجوين : يا للأسف ! يا للأسف ! (مغيرا نغمته التهكمية وواجها سونمن مرة وبشكل جدى) هل أنت مقدر ياسيدى ، أنه ليس بيننا وبين الهماد إلا عربونا وحياة هؤلاء المستعمرين . إنهم رجال مثلنا من نفس السلالة الإنجليزية . ستة منهم لواحد منا ، ياسيدى . (مكررا بتأكيد) ستة منهم لواحد منا ، ياسيدى . ونصف جنودنا تقريبا هسيون[١] ، وبرنزويكيون[٢] وفرسان ألمانيون ، وهنود يحملون السنج. هؤلاء هم بنو الوطن الذين تعتمد على إخلاصهم ! هب أن المستعمرين وجدوا زعيما! هب أن الأخبار من سبرنجتون ، تعنى أنهم فعلا قد وجدوا زعيما ! ماذا سنفعله إذن ؟ ، إيه ؟

سونمن : (مكابرا) واجبنا ، يا سيدى ، على ما أرى .

---

١) بالنسبة إلى حس Hess فى ألمانيا

٢) « « برونزويك Brunswick فى ألمانيا

برجوين : (فى تهكم ثانية — ملتفتا بغتة لسويندن) ، حقا . أشكرك ، يا ماچور سويندن ، أشكرك . الآن قد حلت الأمر ، يا سيدى ، وأنرت الموقف . كم يسعدنى أن أشعر بوجود ضابط قدير مخلص بجانبى يساعدنى فى هذه الملمة الفجائية ! أظن ، ياسيدى أنه ربما يرضى مشاعرنا نحن الاثنين أن نبدأ بإجراء اللازم لشنق هذا الثائر بدون تأخير (يدق الجرس) وخاصة حيث أن مبادئى تمنعنى من إظهار شعورى على الشكل الحربى المعتاد . (إلى الجاويش) أحضر سجينك هنا .

الجاويش : سمعا ، ياسيدى .

برجوين : وأخبر كل ضابط تراه أن المحكمة لا يمكنها انتظاره أكثر من هذا .

سويندن : (كأنما غصه شعورة) إن الهيئة مستعدة كل الاستعداد يا سيدى . إنهم ينتظرونك من نصف ساعة تماما . هم مستعدون كل الاستعداد ، يا سيدى .

برجوين : (برقة) كذلك أنا . (تدخل عدة ضباط ويجلسون ، أحدهم عند طرف المنضدة البعيد يعمل ككاتب للمحكمة

ويكتب مذكرات عن الاجراءات . وملابسهم ملابس الفرقة ٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٦٢ من المشاة البريطانيين . أحد الضباط في رتبة القائد العام في الدعقية الملكية ، يوجد بينهم أيضا ضباط ألمانيون من فرق المشاة والفرسان الألمان) آه ، صباح الخير يا سادة . أؤكد لكم أنى آسف لإزعاجكم . إنه لكرم منكم أن تمنحونا بضع لحظات من وقتكم .

سوندن : هلا ترأس الجلسة ، ياسيدى .

برجوين : (بظرف كثير ، ويتسم ، ويتهكم ، وفى أدب جم ، حيث أنه الآن وسط أناس) لا ، ياسيدى : إنى أشعر بنقائص شعورا كثيرا يجعلنى لا أقدم على مثل هذا العمل . إذا كنت تسمح لى ، فإنى سأجلس عند قدمى جماليل (١) (يجلس عند طرف المنضدة القريب من الباب ؛ ويشير لسوندن نحو الكرسى الملكى وينتظر حتى يجلس هو عنده فيجلس) .

سوندن : (متأثر كثيرا) كما تريد ، ياسيدى . إنى فقط أجتهد أن أقوم بواجبى فى ظروف دقيقة للغاية . (يجلس على المقعد الملكى) .

---

(١) جماليل ، كان قاضيا حكيما مشهورا بالذكاء والعدالة بين اليهود . وهو مذكور فى التوراة .

(يجلس برجوين ، وكأنه ينفض عينيه الرهبة برهة ، ثم يبدأ في قراءة التقارير بجبين مقطب ، ونظرات قلقة ، مفكرا في موقفه الحرج وقلة حياء سوندن . ثم يؤتى بريشارد . تسير جوديث إلى جانبه ، وقد صفقه جنديان ومعه آخران ، يرأسهم الجاويش . يعبرون الحجرة إلى الحائط المقابل . ولكن عندما يمر ريشارد على المقعد الملكي ، يوقفه الجاويش ، يلبس دراعه ، ثم يقف وراءه ، إلى جانب مرفقه . تقف جوديث في حياء عند الحائط . ويقف بالقرب منها أوسة جنود في صف) .

برجوين : (ناظرا إلى أعلى ومصرا جوديث) من تكون هذه المرأة ؟

الجاويش : زوجة السجين يا سيدى .

سوندن : (مضطرب) لقد توسلت إليّ أن أسمح لها بالحضور ؛ وظننت أن . . .

برجوين : (يكمل كلامه بتهكم) ظننت أنه يسرها ذلك . حقاً ، حقاً . (في رفق) أعط السيدة كرسياً ، ودعها تأخذ قسطها من الراحة كاملا .

(يأتي الجاويش بكرسي ويضعه بالقرب من ريشارد) .

جوديث : أشكرك ، يا سيدى . (تجلس بعد أن تنحني في أدب ورهبة أمام برجوين الذي يرد عليها بهز رأسه في أناة) .

سوندن : (بحدة ، إلى ريشارد) اسمك ، يا سيدى .

ريشارد : (فى لهجة من يريد أن يظلم ولكن فى عناد) ماذا ؛ إنك لا تقصد أن تقول إنك أحضرتنى هنا من غير أن تعرف من أنا ؟

سوندن : من أجل الرسميات ، ياسيدى ، أذكر اسمك .

ريشارد : من أجل الرسميات إذن فاسمى أنتونى أندرسن ، قسيس فى هذه البلدة .

برجوين : (فى اهتمام) حقيقة ! أرجوك ، يامستر أندرسن ، ماهو مذهبكم ، ياسادة ؟

ريشارد : أكون سعيدا لأن أوضح ذلك إذا أعطيت الوقت الكافى . أنا لا يمكننى أن أتعهد بإتمام تحويلك من مذهبك إلى مذهبنا فى أقل من خمسة عشر يوما [1] .

سوندن : (ثائرا) نحن لم نأت هنا لنتناقش آراءك .

برجوين : (بانحناء كبير نحو سوندن للكين) أنا الذى أستحق الملام .

سوندن : (فى خجل) أه ، ليس أنت . أنا فى . . .

---

(١) أندرسن تابع إلى الكنيسة المسماة Presbyterian Church وهى كنيسة تختلف عن كنيسة الدولة فى مذهبها ونظامها

برجوين : لاتعتذر [١] . (إلى ريشارد فى أدب كبير) هل لديك آراء سياسية ، يامستر أندرسن ؟

ريشارد : إننى أفهم أننا وجدنا هنا لنعرف ذلك فقط .

سوندن : (بشدة) هل تريد أن تنكر أنك ثائر ؟

ريشارد : إننى أمريكى ، ياسيدى .

سوندن : ماذا تنتظر أن يكون تفكيرى فى كلامك هذا ، يامستر أندرسن ؟

ريشارد : إننى لا أنتظر من الجندى أن يفكر مطلقا ، ياسيدى [٢] .

(يسر برجوين كثيراً من هذا الرد الذى يكاد يوحى عليه الله أمريكا) .

سوندن : (شاحبا من الغضب) أنصحك ألا تكون وقحا ، أيها السجين .

ريشارد : لايمكنك أن تمنعنى من ذلك ، ياسعادة الجنرال . عندما تصمم على شنق رجل ، فإنك تضع نفسك فى مركز حرج معه . لماذا أكون مؤدبا معك ؟

---

(١) لا تعتذر . وهو تعبير إنجليزى يقال فى مثل هذه المواقف ، أو رداً على تشكرات شخص لآخر ، وفى هذه الحالة يكون معناه لاداعى لتشكراتك .

(٢) يعنى أن الجندى يجب أن يكون رجل أعمال ، فلا يضيع وقته فى التفكير ، بل يقوم ويعمل مباشرة .

إن شنق من أجل خروف مثل شنق من أجل حمل [١] .

سوندن : ليس لك الحق فى أن تفرض أن المحكمة قد صممت على شىء بدون محاكمة عادلة . ومن فضلك لاتنادينى بالجنرال . أنا ماجور سوندن .

ريشارد : ألف عفو . لقد ظننت أن لى شرف التكلم مع السيد جونى .

(يحدث بعض الهرج بين الضباط . يكاد الجاويش أن يقهقه) .

برجوين : (فى أدب) أعتقد أننى السيد جونى ، ياسيدى ، فى خدمتك . إن أصدقائى الأقربين يلقبوننى بالجنرال برجوين . (ينحنى ريشارد باحترام كبير) أرجو أن تفهم ، ياسيدى ، وقد ظهر أنك رجل شريف ، ومتحمس بالرغم من مهنتك ، أنه إذا كان من سوء حظنا أن نشنقك ، فسنفعل ذلك للضرورة السياسية وبحكم الواجب العسكرى ، بدون أن يكون عندنا شعور شخصى ضدك .

ريشارد : أمر صحيح . وهذا يغير كل شىء تغييرا كبيرا ، بالطبع .

---

(١) كان القانون الانجليزى يطالب بالإعدام من تثبت عليه جريمة السرقة . ويعنى ريشارد أنكم مادمتم مصممين على شنقى فلا يهم السبب .

(يصفق الجميع بالرغم منهم، ويضحك بعض الشبان من الضباط).

جوديث : (بعد جلدها ولومها عند كل نكتة وكل إطراء) كيف تقدر أن تقول ذلك ؟

ريشارد : لقد وعدتني أن تكوني صامتة .

برجوين : (إلى جوديث باعتناء تام) صديقتي ، ياسيدتي . إن زوجك يجعلنا مدينين له بالشكر الجزيل لإظهاره هذه الروح الشريفة تجاه هذه القضية الكئيبة . ياچاويش : قدم لمستر أندرسن كرسيا . (يفعل الچاويش ذلك ، ويجلس ريشارد) الآن ، ياماچور سوندن نحن في الانتظار .

سوندن : أظن أنك تقدّر ، يامستر أندرسن ماعليك من الحقوق كأحد رعية جلالة الملك چورج الثالث .

ريشارد : إني أقدر ، ياسيدي ، أن جلالة الملك چورج الثالث على وشك أن يشنقني لأني أرفض أن يسرقني لورد نورث [1] .

سوندن : إن هذه الكلمات لخيانة عظمى ، ياسيدي .

---

(١) لورد نورث : كان رئيس الوزارة البريطانية من سنة ١٧٧٠ — سنة ١٧٨٢ وكان في مبدأ الأمر معارضا لفكرة إعطاء الحرية لأمريكا .

ريشارد : (بسرعة) أجل . إنى قصدت ذلك .

برجوين : (بأسف شديد لأنه نبع هذا الشعب في الهجاء ولكن لا يزال يتكلم في رقة) ألا ترى ، ياسستر أندرسن ، أن هذه بالأحرى — إذا كنت لاتؤاخذني في أن أقول ذلك — طريقة وقحة تسلكها ؟ لماذا تعد ضريبة الطوابع وضريبة الشاى ، ومثل ذلك ، سرقة ؟ مع هذا فكان أجدر بك ، كرجل شريف ، أن تدفع من طيب خاطر .

ريشارد : إنه ليس المال ، ياسادة الجنرال . ولكن أن يحتال علينا غبيٌّ مجنون كالملك جورج . . .

سويندن : (في غضب ثائر) صه ، يارجل — أسكت !

الجاويش : (في دهشه وبصوت عال جداً) أسكت !

برجوين : (بدون تأثر بادٍ عليه) آه . هذه وجهة نظر أخرى ، لايسمح مركزى بالكلام فيها إلا سرا . ولكن (يهز كتفيه) إذا كنت قد صممت أن تُشنق ، ياسستر أندرسن ، فبالطبع ليس هناك مايقال زيادة على هذا . إنك لذو ذوق غريب ! (يهز كتفه المرة الأخيرة) — !

سوندن : (إلى برجوين) هل نستدعى شهودا ؟

ريشارد : وما ضرورة الشهود ؟ لو استمع لى أهل البلدة هنا ، لوجدتم الشوارع مخندقة ، والمنازل محصنة ، والناس مسلحين ليدافعوا عن البلدة ضدكم حتى يسقط آخر رجل فيهم . ولكن ، لسوء الحظ ، وصلتم هنا قبل أن ننتهى من مرحلة الكلام ، وبعد ذلك ذهبت الفرصة .

سوندن : (بشدة) حسنا ، ياسيدى ، سنعلمك وأهل بلدتك درسا لن تنسوه . هل لديك أقوال أخرى ؟

ريشارد : أظن أن عندك من الذوق ، ما يجعلك تعاملنى معاملة أسير ، فتقتلنى رميا بالرصاص كرجل بدلا من أن تشنقنى كما لو كنت كلبا .

برجوين : (عاطفا) الآن ، يا مستر أندرسن ، أنت تتكلم كوطنى مهذب ، إذا سمحت لى بأن أقول ذلك . هل لديك فكرة عن مهارة جيش جلالة الملك جورج الثالث فى الإصابة ؟ إذا كونا لك فرقة الرماية ، ماذا يحصل ؟ لن يصيبك نصفهم . وسيجعل الباقون المهمة فوضى ، و يتركونك لمسدس رئيسهم

المارشال . فى حين أنه يمكننا أن نشنقك بمهارة تامة وفى حالة مرضية . (فى رفق) دعنى ألح عليك أن تُشنق ، يا مستر أندرسن !

جوديث : (وهى مأخوذة من هول ما تسمع) يا إلهى !

ريشارد : (إلى جوديث) وعدك إياى ! (إلى برجوين) أشكرك ياسعادة الجنرال : لم أفكر من قبل فى وجهة النظر هذه . لكى تكون راضيا ، فإنى أسحب اعتراضى على المشنقة . اشنقنى كما تشاء .

برجوين : (فى هدوء) هل يوافقك أن يكون ذلك فى الساعة الثانية عشرة ، يا مستر أندرسن ؟

ريشارد : سأكون طوع أمرك وقتئذ ، يا سعادة الجنرال .

برجوين : (قائما) ليس هناك أقوال أخرى ، يا ســادة . (الجميع يقومون) .

جوديث : (مندفعة إلى المنصدة) أه . إنكم لن تقتلوا رجلا بدون أن تحاكموه محاكمة عادلة ... بدون أن تفكروا فيما ذا تفعلون ... بدون (لاتستطيع أن تنطق بكلمة) .

ريشارد : أهكذا تحافظين على وعدك إياى ؟

جوديث : إذا أنا لم أتكلم ، فيجب أن تتكلم أنت . دافع

عن نفسك . أنقذ نفسك . أخبرهم الحقيقة .

ريشارد : (مهموما) . لقد أخبرتهم الحقيقة التي تكفي لأن يشنقوني عشر مرات . إن أنت نطقت بكلمة ثانية ، فإنك تضعين أرواحا غير روحي في خطر . لكنك لن تفتدي حياتي .

برجوين : سيدتي الفاضلة ، إن رغبتنا الوحيدة هي ألا تسبب أي استياء . ماذا تكسبين من عرضيته وصديقي سويندن مرتدقبعته السوداء[1] وما إلى ذلك؟ أنا واثق أننا مدينون لزوجك بالشكر لما أظهره من الحزم الفائق والشعور الشريف .

جوديث : (صائحة بالكلام في وجهه) أه . إنك مجنون . ألا يهمك أي شر تفعله مادمت تفعله كفاض شريف؟ ألا يهمك أن تكون قاتلا أم لا . ما دمت تقتل في سترة حمراء ؟ (ثائرة) إنك لن تشنقه ، ذلك الرجل ليس بزوجي .

(ينظر الضباط بعضهم إلى بعض ، ويتهامسون : يسأل بعض الألمان من بجوارهم عما قالته المرأة : برجوين ، الذي قد أثر فيه لوم جوديث ، يرجع إلى صوابه عند هذا التطور الجديد . يرفع ريشارد صوته فوق الجلبة) .

---

(١) وضع القبعة السوداء دليل الحكم بالاعدام.

ريشارد : أتوسل إليكم ، يا سادتى ، أن تتجزوا هذه المهمة . إنها لا تريد أن تصدق بأنها لا تستطيع إنقاذى . فضوا الجلسة .

برجوين : (فى صوت عادى ، ووريس حتى أنه يبدد السكون فى الحال) لحظة واحدة ، يا مستر أندرسن . لحظة واحدة ، ياسادتى . (يجلس ثانية ، وينهمك فى ذلك سوندن والضابط) دعنى أفهمك جيدا يا سيدتى . هل تصدين أن هذا الرجل ليس بزوجك ، أوفقط... أنا أريد أن أقول ذلك بكل ذوق... أنك لست زوجته ؟

جوديث : لست أدرى ماذا تعنى ، إنما أقول إنه ليس بزوجى . وإن زوجى قد هرب . وهذا الرجل أخذ مكانه لينقذه . اسأل أى إنسان فى البلدة... أرسل إلى أول شخص تجده فى الشارع وأحضره كشاهد . سيقول لك إن السجين ليس بأنتونى أندرسن .

برجوين : (فى هدوء ، كما تكلم من قبل) يا شاويش .

الجاويش : نعم ، ياسيدى .

برجوين : اخرج فى الشارع وأحضر أول وطنى تراه .

الجاويش : سمعاً ياسيدى . (يتجه نحو الباب) .

برجوين : (عندما يمر الجاويش عليه) أول وطنى محترم ، منسلك من شعوره .

الجاويش : سمعاً يا سيدى (يخرج) .

برجوين : اجلس ، يا مستر اندرسن . إذا سمحت لى ان أناديك بملك الآن (على ريتشارد) . اجلسى يا سيدتى ، بينما ننتظر . أعط السيدة جريدة .

ريشارد : (بأنفة) يا للعار !

برجوين : (بحدة ، وبلدما نصف انشامة) إذا لم تكن زوجها ، يا سيدى ، فإن هذه القضية لا تكون قضية خطيرة بالنسبة لها . (يعض ريشارد شفتيه وقد أسكته الجواب) .

جوديث : (إلى ريتشارد ، وهى رافعة نحو مقعدها) لم أستطع السكوت . (يهز رأسه . وتجلس جوديث) .

برجوين : أنت تفهم ، بالطبع ، يا مستر اندرسن ، أنه لا ينبغى لك ان تبنى آمالا على هذه الحادثة البسيطة . نحن مضطرون لأن نجعل من أى شخص عبرة .

ريشارد : أنا فاهم تماما . أظن أن ليس هناك فائدة من

شرحي وتفسيرى ·

برجوين : أرى الأفضل أن نستمع لشاهد محايد . لاتؤاخذنى فى ذلك .

يرجع الجاويش بلفة من الورق فى يده . ويقود كريستى الذى تظهر عليه علائم الخوف الشديد) .

الجاويش : (يعطى برجوين الورق) بريد ، ياسيدى . استلمته من جاويش بالأورطة ٣٣ . جاء يلهث من طول الركوب ياسيدى .

(يفض برجوين الرسائل ، ويشغل بهاتى المال . الأخبار خطيرة حتى أنها تجتذب الانتباه من المحكمة العسكرية) .

الجاويش : (إلى كريستى) الآن ، انتبه ، واخلع قبعتك .

(يصل نفسه منوطا بكريستى الذى يقف فى الجانب الذى به برجوين من المحكمة) .

ريشارد : (فى صوت النهر الذى تعود أن يخاطب به كريستى دائما) لا تخف ، يا مغفل . إنك مطلوب كشاهد فقط إنهم لن يشنقوك .

سوندن : ما اسمك ؟

كريستى : كريستى .

ريشارد : (وقد نفد صبره) كريستوفر دادجون ، أيها الأبله الثرثار . أعط اسمك الكامل ·

سوندن : الزم الصمت ، أيها السجين . يجب ألا تساعد الشاهد .

ريشارد : حسنا جدا ، ولكنى أحذرك أنك لن تحصل منه على شىء إلا بعد أن تهزه منه . لقد تمت تربيته أم صالحة فلم يعد فيه أثر الرجولة .

برجوين : (ملتفتا يكلم الجاويش ولهجته مبهوت) أين الرجل الذى أتى بهنا ؟

الجاويش : فى حجرة الحرس ، يا سيدى .

(يخرج برجوين بسرعة تجعل الضباط تتبادل النظرات) .

سوندن : (إلى كريستى) هل تعرف أنتونى أندرسن القسيس؟

كريستى : بالطبع أعرفه (كأنه يعنى أن سوندن غبى لأنه لا يعرف القسيس)

سوندن : هل هو هنا ؟

كريستى : (ينظر حوله) لا أعرف .

سوندن : هل تراه ؟

كريستى : لا .

سوندن : يظهر أنك تعرف السجين ؟

كريستى : أتعنى ديك ؟

سوندن : من هو ديك ؟

كريستى : (مشيرا إلى ريشارد) هذا .

سوندن : ما اسمه ؟

كريستى : ديك .

ريشارد : أجب إجابة صحيحة، يا حمار . ماذا يعرفون عن ديك ؟

كريستى : عجبا ، أنت ديك ، أليس كذلك ؟ ماذا لى أن أقول ؟

سوندن : وجه كلامك إلىّ ، ياسيدى . وهلا تلزم الصمت أيها السجين . أخبرنا من هو السجين .

كريستى : هو أخى ديك ... ريشارد... ريشارد دادجن

سوندن : أخوك !

كريستى : نعم .

سوندن : أنت متأكد أنه ليس أندرسن .

كريستى : من؟

ريشارد : (معنفا) أنا ، أنا ، أنا ، يا...

سوندن : صه ، ياسيدى .

الجاويش : (يصيح) أسكت .

ريشارد : (وقد نفد صبره) ياه ! (إلى كريستى) إنه يريد أن يعرف هل أنا القسيس أندرسن . أخبره ، ولا تبتسم ببله كالبهلوان .

كريستى : (مبحلقا أكثر من ذى قبل) أنت القسيس أندرسن (إلى سوندن) ماذا ، مستر أندرسن قسيس ... رجل طيب جدا ، ولكن ديك رجل فاسد : لا يحب الناس المحترمون أن يكلموه . هو الأخ الطالح ، وأنا الصالح . (تضحك الضباط على الأثر ويبتسم الجنود) .

سويندن : من قبض على هذا الرجل ؟

الجاويش : أنا ، ياسيدى ، وجدته فى منزل القسيس ، يتناول الشاى مع السيدة ، من غير سترته ، كأنه فى منزله تماما . إذا لم يكن متزوجا بها ، فيجب أن يكون .

سوندن : هل أجاب عن اسم القسيس ؟

الجاويش : نعم ، يا سيدى ، ولكن فى غير طابع القسيس . اسأل قسيس الجيش ، يا سيدى .

سويندن : (لريشارد ، مهددا) هكذا ، يا سيدى ، حاولت أن تخدعنا . واسمك ريشارد دادجين .

ريشارد : ها قد عرفت ذلك أخيرا ، أليس كذلك ؟

سوندن : دادجن اسم معروف لدينا تماما ، إه ؟

ريشارد : أجل ، بيتر دادجن ، الذي قتله ، كان عمي .

سوندن : إم (حضم شفتيه ، وينظر عنه نحو ريشارد).

كريستي : هل سيشنقونك ، يا ديك ؟

ريشارد : نعم ، اخرج من هنا . لقد انتهوا منك .

كريستي : ويمكنني أن أبقي الطاووسين المزخرفين عندي ؟

ريشارد : (ناهضا) اخرج . اخرج ، أيها القرد العبيط .

(يجري كريستي بسرعة ، في ملع) .

سوندن : (بلوم — الشكل بومون) ما دمت قد أخذت مكان القسيس ، يا ريشارد دادجن ، فسيكون ذلك حتى النهاية . سيكون الإعدام في الساعة الثانية عشرة كما أعددنا ، وإذا لم يسلم أندرسن نفسه حتى تلك الساعة ، فستأخذ أنت مكانه على المشنقة . يا جاويش ، خذ سجينك إلى الخارج .

جوديث : (مولهة) لا ، لا ...

سوندن : (معدة غائلا أن تكرر توسلاتها) أخرج تلك المرأة

ريشارد : (يثب كالنمر متخطيا المنضدة بعرضها ، ويمسك بسوندن

من رقبته) أيها المجرم السافل !

(يأتى الجاويش من ناحية ، والجنود من ناحية أخرى لتخليصه . يمسكون بريشارد ويجرونه إلى مكانه الأول . يقوم سويندن الذى كان قد ألقاه ريشارد بظهره على المنضدة ، مرتبا هندامه . هو على وشك أن يتكلم ، فيمنعه عن ذلك ظهور برجوين عند الباب ، ممسكا ورقتين فى يده : خطابا أبيض ورسالة زرقاء) .

برجوين : (متقدماً نحو المنضدة ، فى برود وهدوء كثير) ماهذا ؟ ماذا حصل ؟ مستر أندرسن ، أنا مندهش لأمرك

ريشارد : آسف لأنى أزعجتك ، يا سعادة الجنرال . أنا أردت فقط أن أخنق مرؤوسك الوضيع هناك . (يثور بشدة نحو سويندن) لماذا أثرت فى الشيطان بإهانتك السيدة ؟ كم يشفينى أن أقطع رأسك النجس ، يا وجه الكلب . (مد يديه إلى الجاويش) هاك يدىّ قيدهما ، و إلا فإنه لا يمكننى أن أبعد أصابعى عنه .

(يُخرج الجاويش زوجاً من القيد وينظر إلى برجوين منتظرا أوامره) .

برجوين : هل استعملت لغة بذيئة مع السيدة ، يا ماجور سويندن ؟

سوندن : (غاضبا جداً) لا ، ياسيدى ، بكل تأكيد لا . لم يكن من الواجب أن توجه لى هذا السؤال . لقد أمرتُ أن تخرج المرأة ، لأنها كانت ثائرة ، فوثب الشخص علىَّ . أبعد ذيلك القيدين . أنا قادر تماما على أن أدافع عن نفسى

ريشارد : الآن أنت تتكلم كرجل ، فليس بينى و بينك شجار .

برجوين : مستر أندرسن . . .

سوندن : اسمه دادجن ، ياسيدى ، ريشارد دادجن . إنه محتال .

برجوين : (فى نفه) كلام فارغ ، ياسيدى . إنك شنقت دادجن فى سبرنحتون .

ريشارد : إنه كان عمى ، ياسعادة الجنرال .

برجوين : أه ، عمك . (إلى سوندن بلباقة) أستميحك العفو ، ياماجور سوندن . (يقبل سوندن الاعتذار جرد . يلتف برجوين نحو ريشارد) نحن سيئو الحظ فى علاقاتنا مع أسرتك . حسنا ، يا مستر دادجن ، إن ما أردت أن أسألك إياه هو هذا : من هو

(يقرأ الاسم من الخطاب) وليم مِينْديك بارْشُتَر ؟
(William Maindick Parshotter)

ريشارد : هو عمدة سبرنجتون .

برجوين : هل وليم ... مينْديك الخ ... رجل يق بوعده ؟

ريشارد : هل سيبيعك شيئاً ؟

برجوين : لا .

ريشارد : إذن يمكنك أن تثق به .

برجوين : أشكرك ، يامستر ... م دادجن . بهذه المناسبة ، إذا لم تكن أندرسن ، فهل لا تزال ... إه ، يا ماجور سوندن ؟ (أى هل لا تزال مصممين على شنقه ؟) .

ريشارد : يظل الأمر كما اتفقنا عليه من قبل ، يا سعادة الجنرال

برجوين : آه ، حقيقة . إنى آسف . أنعم صباحا ، يا مستر دادجن . أنعمى صباحا ياسيدتى .

ريشارد : (مقاطعا جوديث بقسوة وهى على وشك أن تتوسل ، وآخذا بذراعها بقوة) ولا كلمة واحدة أخرى . تعالى .

تنظر جوديث إليه نظرة استعطاف ، ولكن يؤثر فيها عزمته الظاهرة عليه . تسير الجنود الأربعة بهما للخارج ،

ويسير الجاويش بين سوندن وريمفارد ، مراقبا الأخير
كأنه حيوان مفترس) .

برجوين : سادتي : لا داعي لبقائكم . ماجور سوندن :
لي كلمة معك ، (تخرج الضباط . يخطو برجوين في
سكون وهدوء حتى يختفي آخرهم - ثم يظهر على وجهه
علامات الجد الكثير والاهتمام الشديد ويكلم سوندن بعوق
أن يذكر لقبه لأول مرة) . سوندن : أتعرف ماحدث ؟

سوندن : ما هو ؟

برجوين : طَلَبُ الأمان لضابط من جيشهم كيما يأتي هنا
ويتفاوض معنا .

سوندن : آه ، إنهم يستسلمون .

برجوين : إنهم يقولون بأنهم مرسلو الرجل الذي أتلو سيرنجتون
ليلة أمس وطردنا منها ، كيا تعلم أننا نفاوض
ضابطا عظيما .

سوندن : يوه !

برجوين : إن في استطاعته أن يتفق معنا على... خمّن ماذا .

سوندن : أرجوه ، على استسلامهم .

برجوين : لا : على إخلائنا البلدة . إنهم يمهلوننا ست
ساعات للجلاء .

سوندن : ياللوقاحة !

برجوين : ماذا ستفعل ، إه ؟

سوندن : نزحف على سبرنجتون ونضربهم الضربة القاضية في الحال .

برجوين : (في هدوء) إم ! (ملتفتا إلى الباب) هلم بنا إلى مكتب الضابط الكاتب .

سوندن : لماذا ؟

برجوين : لنكتب الأمان . (يضع يده على يد الباب ليفتحه).

سوندن : (الذي لم يتحرك) جنرال برجوين .

برجوين : (راجعا) سيدى ؟

سوندن : من واجبى أن أقول لك ، ياسيدى ، أنى لا أرى تهديدات جمع من تجار ثائرين سببا قويا لخضوعنا .

برجوين : (في هدوء) افرض أنى سلمت لك القيادة ، ماذا تفعل ؟

سوندن : أقوم بالعمل الذى من أجله زحفنا جنوبا من كويبك ، والذى من أجله زحف جنرال هَوْ شمالا من نيويورك : نكوِّن حلقة اتصال في ألباني ، ونسحق جيش الثوار بقواتنا المتحدة .

برجوين : (فی غموض) وهل فی استطاعتك أن تسحق أعداءنا فی لندن ، أيضاً ؟

سوندن : فی لندن ! أی أعداء ؟

برجوين : (بحدة) الغفية ، والمحرقة ، والضعف والجمود السياسی (يرمع الرسالة ، ويقول بيأس جلی فی صوته ووجهه) لقد عرفت الآن فقط ، يا سيدی ، أن چنرال هاو لا يزال فی نيويورك .

سوندن : (مصعوقا) يا إلهی ! لقد عصی الأوامر !

برجوين : (فی هدوء وتهكم) إنه لم يتلق أی أمر ، ياسيدی . نسی أحد الساسة فی لندن أن يصدره إليه : أعتقد أنه كان مسافرا من لندن لقضاء أجازته . ولأنه لم يشأ أن يغير شيئاً من ترتيباته لذلك ، فإن إنجلترا ستفقد مستعمراتها الأمريكية ؛ وبعد أيام قلائل ستكون أنت وأنا فی ساراتوجا « Saratoga » ومعنا خمسة آلاف رجل مقابل ثمانية عشر ألفا من ثوار مجهزين محصنين .

سوندن : (فی فزع) مستحيل ؟

برجوين : (فی برود) نعم ؟

سوندن : لا يمكننى أن أصدق ذلك ! ماذا سيدونه التاريخ؟

برجوين : سيدون التاريخ ، يا سيدى ، أكاذيب كعادته .

هلم : يجب أن نرسل الأمان .

(يخرج) .

سوندن : (يتمه فى وله) يا إلهى ، يا إلهى ! لقد محينا من الوجود .

المنظر الثالث

قبيل الظهر يشاهد هرج ومرج فى رحبة السوق . فالمشنقة المقامة هناك على الدوام لتخويف الأشرار مع إعلانات ومثل أخرى الجرائم أقل شأنا منها مثل عمود الجلد ولوح التقييد[1] وآلة التثبيت[2] ، وغير ذلك من وسائل التعذيب ـ قد وضع لها حبل جديد ، ثبتت حلقته فى أحد الأعمدة كيلا يتمكن الأطفال من الوصول إليها . وقد وضع السلم بجانب حارس يحرسه ويمنع عنه الذين لا يحق لهم صعوده . ولقد اكتظ فى الرحبة أهل وبستر بودج فى نشاط ومرح . إذ انتشر بينهم الخبر ، بأن تابع الشيطان ، وليس القسيس ، هو الذى سيشنقه الملك جورج والقائد العظيم لجيوشه : وبذلك سيتمتعون بمشاهدة الشنق ، بدون أن يَشْكُوا فى صحته قانونا ، أو أن يشعروا بالجبن لأنهم لايقاومونه. بل إنهم ليخافون عندما تقترب الظهيرة ، ولا يشاهدون من علائم الشنق سوى الحارس الذى أتى يحمل السلم يخافون أن يرجعوا خاسرين فلا يتمتعون بمشاهدة الشنق . ولكن أخيرا

(١) لوح من الخشب فيه ثقوب تثبت فيها رأس المجرم ويداه لتعذيبه .
(٢) لوح من الخشب فيه ثقوب تثبت فيها قدما المجرم ويداه لتعذيبه .

تُسمع أصوات مؤكدة : هاهم يأتون : هاهم قد حضروا ! وتسير فرقة من الجنود بخطى سريعة صوب وسط السوق حاملين بنادقهم وقد برزت منها السنان (السِّنَج) ، ودافعين الجموع المتحشدة إلى الجانبين ، ونصف هؤلاء الجند بريطانيون ، والنصف الآخر ألمان.

الجاويش : قف . إلى الأمام . استعداد . (يحول صف الجند المربع بحيط المشنقة ، ويدفع رؤساؤهم الساكر مالاعتلى اللذين أطلق عليهم المربع ، إلى الأركان خارجه) الآن ! أسرعوا خطاكم : أسرعوا . سيشنق بعضكم قريبا . كوّنوا مربعا هنالك أيها الألمان الملعونون . لا فائدة من أن تكلموهم بالألمانية : كلوا أصابع أقدامهم بأطراف بنادقكم : إنهم سيفهمون ذلك . أسرعوا : أسرعوا . (يأتي إلى جوديث ، وقد وقفت بجانب المشنقة) الآن : ليس ما يدعو لوجودك هنا .

جوديث : ألا تسمح لى بالبقاء ؟ أى ضرر يسببه من بقائى ؟

الجاويش : أنا لا أريد جدالا معك . ينبغى أن تخجل من نفسك ، آتية لترى رجلا يشنق ، وهو ليس بزوجك . وهو ليس أحسن منك . لقد قلت للماجور عنه

إنه سيد شريف ، و بعد ذلك يحاول أن يخنقه ، ويقول عن جلالة الملك إنه مجنون . اخرجي من هنا ، و بسرعة .

جوديث : أتأخذ هذين الريالين وتسمح لي بالبقاء ؟

(يلتقط الجاويش بسرعة وبدون تردد بينما يضع الريالين في جيبه ، ثم يرفع صوته في إباء الرجل الشريف) .

الجاويش : آخذ نقودا وأنا أؤدي واجبي ! بكل تأكيد لا . الآن ، سأخبرك ماذا سأفعل كي أعلمك كيف تصدين ضابطا من ضباط الملك . سأقبض عليك حتى ينتهي الإعدام . قفي هناك ، ولا تدعيني أراك تتركين ذلك المكان حتى يُسمح لك .

(بغمزة عين سريعة يشير لها نحو ركن للربع ، وراء المشنقة على يمينه ، ويلتفت بعدما عنها صامتا ، ويصيح)

الآن ، استعدوا وادفعوهم إلى الوراء .

(تسمع بين الناس أصوات تنبه بالسكون ؛ وصوت فرقة الموسيقى ، توقع دور الموت من سول[1] ، فيعم السكون الجمع مرة واحدة . يسرع الجاويش والعساكر وراء الربع ، يهامسون ببعض الأوامر . ويفتح بعضهم الربع

---

(١) سول : قطعة موسيقية دينية وضعها هاندل سنة ١٧٣٩ .

بغلة حتى يمر فيه موكب الجناز ، الذى يصحبه من الجمهور صفان مزدوجان من الجند . يظهر فى المقدمة برجوين وسوندن اللذان ، ينظران إلى المشنقة بين الاستياء عند دخولهما المربع ، ويتجنبان المرور تحتها بأن يميلا قليلا نحو اليمين ثم يقفان فى ذلك الجانب . ويتبعهما القسيس ، مستر بردال ، فى ملبسه الكنسى ، وكتاب الصلوات مفتوح بين يديه ، وإلى جانبه ريتشارد المهموم الثائر الذى يعطى شباب جلال ساعة المشنقة ، ويقف أمامها تقريبا . يأتى من خلفه الجلاد ، وهو جندى ضخم ، طويل ستريه ، ويتبعه جنديان يجران عربة حربية خفيفة . وأخيرا تأتى فرقة الموسيقى ، التى تصطف عند مؤخر المربع ، وتختم دور الموت . تتسلل ، جوديث التى تراقب ريتشارد فى ألم ، نحو المشنقة ، وتقف مستندة إلى عمودها الأيمن . يضع الجنديان العربة تحت المشنقة فى أثناء الحديث الذى يأتى بعد . ثم يقفان بجانب ذراعى العربة ، المتجهين إلى الوراء .

تقدم الجلاد العربة بضع خطوات ، ويضعها تحت السجين كى يصعد فيها . بعد ذلك يتسلق السلم الطويل المستند إلى المشنقة ، ويقطع الخيط الذى يرفع الحبل إلى أعلى ، ويتركه تسقط الحلقة ، إلى أسفل العربة بعيدة صوتا . يقف فيها الجلاد ، بعد أن ينزل من فوق السلم .

ريتشارد : (بضيق مكبوت ، إلى بردال) أنظر هنا ، ياسيدى ؛ هذا المكان ليس لرجل فى مهنتك . أليس الأفضل لك أن تذهب ؟

سوندن : إنى أرجوك ، أيها السجين ، إذا كان قد بقى فيك

بعض الأدب ، أن تصغى إلى وعظ القسيس ، وأن تقدر قُدْس هذا الظرف .

القسيس : (برقة يعتب على ريشارد) اجتهد أن تضبط نفسك ، واخضع للإرادة الإلهية .

ريشارد : أجب عن إرادتك أنت ، ياسيدى ، وإرادة شركائك . (مشيرا إلى برجوين وسوندن) إنى أرى قليلا من الإيمان فيهما أو فيك . أنت تتحدث لى عن المسيحية عند ما تعمل على شنق أعدائك . هل حدث مطلقا مثل هذا الكفر الشنيع ؟ (إلى سوندن بخشونة أكثر) لقد أوجدت قدس الظرف ، كما تسميه ، كى تظهر للناس عظمتك .. موسيقى هاندل[1] وقسيس كى تلبس القتل ثوب العمل الصالح ! هل تظن أننى أساعدك على ذلك ؟ لقد طلبت منى أن أختار الشنق لأنك لا تعرف مهنتك للدرجة التى تؤهلك لأن ترمى بالرصاص

(١) هاندل واسمه الكامل جورج فرد هاندل ، موسيقى ألمانى عظيم عاش من سنة ١٦٨٥ — سنة ١٧٥٩ ومن أهم مؤلفاته الموسيقية ، بمول ، وشمشون .

بنجاح . حسنا ، اشنقنى وأنجز كل شىء .

سونسن : (إلى القسيس) ألا يمكنك أن تفعل شيئا معه ، يا مستر بردنل ؟

القسيس : سأجتهد ، يا سيدى . (بادئا فى القراءة) الرجل الذى خلق من المرأة ..

ريشارد : (مثبتا نظره عليه) « إنك لن تقتل »[1].

(يسقط الكتاب فى يدى بردنل) .

القسيس : (مظهرا خبله) ماذا لى أن أقول ، يامستر دادجن؟

ريشارد : ألا يمكنك أن تتركنى وحدى ، أيها الرجل ؟

برجوين : (فى أدب جم) أرى ، يا مستر بردنل ، أنه ما دامت هذه الضروريات الدينية لاتوافق مستر دادجن فى الظرف الحالى ، فالأفضل أن ترجئها حتى ... إ ... حتى لا تسبب لمستر دادجن بعد ، أى أستياء (بهزة كتف ، يقفل مستر بردنل كتابه ويتأخر إلى ما وراء المشنقة) يظهر أنك متعجل ، يا مستر دادجن .

ريشارد : (وقفامة الموت فوق رأسه) هل تظن أن. هذا شىء

(١) إحدى الوصايا العشر التى نزلت على سيدنا موسى عليه السلام.

سار ؟ لقد وطدت العزم على أن ترتكب جريمة القتل : حسناً ، افعل ذلك وانته .

برجوين : مستر دادجن : نحن فقط نفعل ذلك...

ريشارد : لأنكم تتقاضون أجراً من أجله .

سويندن : ياوقح ... (يكظم غضبه)

برجوين : (في ظرف كثير) أنا حقيقة آسف لأن تظن ذلك ، يامستر دادجن . إذا علمت مقدار ما أفقده بسبب وظيفتي ، ومقدار مرتبي ، لأحسنت ظنك بي . إني أكون سعيداً لو افترقنا صديقين .

ريشارد : اسمع ، ياجنرال برجوين . إذا كنت تظن أنني أود أن أشنق . فأنت مخطىء . أنا لا أود ذلك ، ولا أقصد أن أتظاهر بأني راغب فيه . وإذا كنت ترى أنني مدين لك بالشكر ، لأنك ستشنقني على شكل شريف ، فأنت مخطىء في هذا أيضاً . إني أرى المهمة كلها شيطانية ، والشيء الوحيد الذي يواسيني فيها ، هو أنك ستشعر بأن منظرك أحط وأقبح بكثير من منظري بمناسبتها .

(يتحول ، ويسرع نحو العربة فتأتى جوديث وتقف فى طريقه وهى تمد ذراعيها إليه . ريشارد ، الذى يشعر بأن أقل شىء ربما يؤثر فى ضبطه لنفسه ، يصعد عنها صائحا)

ماذا تفعلين هنا ؟ لا يصح أن تكونى فى هذا المكان . (تنبر كأنها تلمسه . يصعد متحاشيا) لا . إذهبى : إنك تضعفيننى . خذوها بعيدا من فضلكم .

جوديث : ألا تريد أن تودعنى ؟

ريشارد : (سامحا لها بأن تأخذ يده) أوه ، الوداع ، الوداع . الآن ، إذهبى . . . إذهبى . . . بسرعة . (تعلق يده — إذ لاتقنع بمثل هذا الوداع البارد — وأخيرا ، عندما يحاول أن يخلص نفسه منها ، تلقيها ترتمى على صدره ، وهى تتألم) .

سوندن : (مغضبا إلى الجاويش ، الذى أتى من وراء المربع ، مفتوحا من حركة جوديث ، أو لكى يجذبها إلى الوراء ، ثم يقف مترددا ، عندما يرى نفسه قد وصل متأخرا)

كيف هذا ؟ لماذا هى داخل الحدود ؟

الجاويش : (شاعرا بذنبه) لا أعرف ، ياسيدى . إنها ماكرة جداً ... لا يمكننى أن أبعدها .

برجوين : لقد أخذت رشوة .

الجاويش : (غضبا) لا ، يا سيدى ...

سونفدن : (بقسوة) إلى الوراء . (ينفذ الجاويش الأمر) .

ريشارد : (متوسلا إلى من حوله ، ثم أخيرا إلى برجوين ، إذ يجد أنه أدرك الجميع) خذوها بعيدا . أتظن أنني أريد امرأة إلى جانبي الآن ؟

برجوين : (ذاهبا إلى جوديث ، وآخذا يديها) هناك يا صديقتي : الأحسن أن تكوني داخل الحدود ، ولكن قفي هنا وراءنا ؛ ولا تنظري .

(يشهق ريشارد شهيق ارتياح كبير عندما تتركه وتلتفت إلى برجوين . يلتجىء بسرعة إلى العربة ويصعد فيها . يخلع الجلاد سترته ويقيده) .

جوديث : (مقاومة برجوين في سكون ، وساحبة يديها بعيدا) . لا : لا بد أن أبقى . إنني لن أنظر .

(تذهب إلى يمين المشنقة . تحاول أن تنظر إلى ريشارد ، لكنها تلتفت بعيدا برعدة شديدة ، وتجثو على ركبتيها تصلي . يأتي برديس نحوها ، من مؤخرة المربع) .

برجوين : (مومئا برأسه بارتياح ، عندما تجثو) آه ، هنا حسن

(يومىء برديس برأسه هو الآخر ، وينسحب قليلا ، ناظرا إليها بعطف . يقف برجوين في مكانه الأول وبيده كرونومتر جميل من الذهب) الآن إذن ،

هل تمت كل الاستعدادات ؟ يجب ألا نؤخر. مستر دادجين .

(عند هذه اللحظة ، تكون قد أبدت بدا ريتشارد وراء ظهره ، وتكون الحلقة ، قد وضعت حول رقبته . ويكون جنديان قد أمسكا بذراعي العربة ، مستعدين لجرها بعيدا ، يشير الجلاد الواقف وراء ريتشارد بإشارة إلى الجاويش) .

الجاويش : (إلى برجوين) مستعدون ، ياسيدي .

برجوين : هل لديك أقوال زيادة ، يامستر دادجين؟ لايزال هناك دقيقتان حتى تكون الساعة الثانية عشرة .

ريتشارد : (بصوت رجل قوي ، قد هزم مرارة الموت) . إن ساعتك مؤخرة دقيقتين بالنسبة إلى ساعة البلدية التي أراها من هاهنا ، ياجنرال . (تدق ساعة البلدية أول دقة من دقات الساعة الثانية عشرة . تسري في الجمهور رعدة رغم إرادتهم ويخرجون أنينا مكتوما) . لكن ما يكون حياتي فداء لمستقبل العالم .

أندرسن : (صائحا ، وهو يندفع إلى رحبة السوق) آمين يوقفوا الإعدام (يخترق صف الجند المواجه برجوين ، ويسرع ، وهو يلهث ، نحو المقصلة) . أنا أنتوني أندرسن ، الرجل الذي تطلبونه .

(يصغى الجمهور كل الإصغاء ، وقد أثير إثارة عظيمة . تقوم جوديث نصف قومة ، محدقة فيه ؛ ثم ترفع يديها كمن أجيبت له أعز دعواته) .

سوندن : حقيقة . إذن قد حضرت فى الوقت المناسب لأن تأخذ مكانك على المشنقة . اقبضوا عليه .

(عند إشارة من الجاويش ، يتقدم جنديان إلى الأمام ، ليقبضوا على أندرسن) .

أندرسن : (دافعا ورقة فى وجه سوندن) هاك الأمان ، ياسيدى .

سوندن : (مأخوذا) الأمان ! هل أنت ... !

أندرسن : (مؤكدا) هو أنا ذا . (يمسك الجنديان برقبته) . مر هذين الرجلين أن يرفعا أيديهما عنى .

سوندن : (للرجلين) اتركاه .

الجاويش : إلى الوراء .

(يتأخر الجنديان إلى مكانيهما . يهتف الجمهور بتحية ؛ ويتبادلون نظرات السرور ، شعورا منهم بالنصر عندما يرون خصومهم يفقدون أعصابهم على قمة المائدة) .

أندرسن : (يتنهد تنهد ارتياح عميق ، ويمسح عرقه بمنديله) شكرا للرب ، لوصولى فى الوقت المناسب !

برجوين : (هادئا كعادته ولا يزال ممسكا بالساعة) كان لديك

وقت كاف ، يا سيدى . وقت طويل . إنى لا أحلم مطلقا بأن أشنق رجلا بحساب ساعة أمريكية . (يضع الساعة فى جيبه)

أندرسن : أجل : قد أصبحنا الآن متقدمين عنكم ببضع دقائق، ياسيادة الچنرال . الآن، مرهم أن يرفعوا الحبل عن عنق ذلك الأمريكى .

برجوين : (فى أدب كبير — الجلاد الواقف فى العربة) . تكرم بفك قيود مستر دادچن .

(يرفع الجلاد الحبل عن عنق ريتشارد ، ويفك قيديه ، ثم يساعده فى لبس سترته) .

چوديث : (تتسلل فى حياء نحو أندرسن) تونى .

أندرسن : (وافيا ذراعه حول كتفيها ورافعا إياها برفق) حسنا ، ماذا تعتقدين فى زوجك الآن ، إه ؟ . . إه ؟؟ . . إه ؟؟؟

چوديث : إنى خجلة . . . (تخفى وجهها فى صدره)

برجوين : (الى سوندن) يظهر عليك الكدر ، ياماچور سوندن .

سوندن : يظهر عليك الهزيمة ، يا چنرال برجوين ،

برجوين : أنا مهزوم ، يا سيدى ، وإن عندى من الإنسانية ما يجعلنى فرحا لذلك (يثب ريتشارد من العربة ، يمد برجوين يده لمساعدته ، ثم يجرى نحو أندرسن ، فيهز يده اليسرى بكل قلبه ، إذ أن اليد اليمنى قد شغلتها جوديث) بالمناسبة ، يامستر أندرسن : لست مدركا الموقف تماما . إن جواز الأمان كان لقائد حربى ، وأنا أفهم أنك ... (ينظر كأنه يتبين سطرا فى أدب كبير ، إلى حذاء الركوب ، والمسدسين ، وإلى سترة ريتشارد ، ويقول) قسيس .

أندرسن : (بين جوديث وريتشارد) سيدى . فى وقت الشدائد يعرف الإنسان مهنته التى يصلح لها . إن هذا الشاب الأهوج ، (واضعا يده على كتف ريتشارد) كان يفخر بأنه تابع الشيطان ؛ ولكن عندما أزفت ساعة المحنة ، وجد نصيبه فى أن يضحى ويكون مخلصا حتى الموت . ولقد ظننت نفسى قسيسا قديرا ، أعظ الناس بمبادئ السلام ؛ ولكن عندما أتت ساعة المحنة ، وجدت نصيبى فى أن أكون رجل أفعال ؛ ووجدت مكانى بين رعد القواد

والقصف والصخب . لذلك قد بدأت حياتي وأنا في الخمسين ، كالقائد ، أتوق أن أندرس في جيش متطوعي سبرنجتون : وسيبدأ «تابع الشيطان» هذا حياته حالا كصاحب العصبة المبجل ، ريشارد داجن ، فيعظ الناس من فوق منبري القديم ، ويسدي النصائح الطيبة إلى زوجتي الصغيرة ذات العواطف الحساسة هذه (واضعا يده الأخرى على كتفها . تختلس نظرة إلى ريشارد لترى كيف يرحب هذا المبجل) لقد قالت لي أمك، يا ريشارد، إنما كان ينبغي لي أن أختار جوديث إذا كنت قد أعددت نفسي للكنيسة . أرى الآن أنها كانت محقة . على ذلك فاسمح بأن تبقى سترتي عليك ، وأنا أبقي سترتك .

ريشارد : أيها القسيس... يجب أن أقول ، أيها القائد... إني سلكت مسلك الحمقى .

جوديث : مسلك الأبطال .

ريشارد : من المحتمل أن يكونا شيئا واحدا تقريبا . (بمرارة وغضب نحو نفسه) ولكن لا : لو كنت رجلا حقا

قمت نحوك بما قمت أنت به نحوى ، بدلا من عمل تضحية فارغة .

أندرسن : ليست فارغة ، يا بنى . إن تكوين العالم يحتاج إلى كل الأشكال . . . أولياء وجنود . (ملتفتا نحو برجوين) والآن ، ياجنرال برجوين ، إن الوقت ضيق ، وأمريكا على عجل . هل تحققت أنك لو تحتل البلاد ، وتكسب الملوك ، فإنك لاتستطيع أن تقهر الشعب ؟

برجوين : يا سيدى العزيز : بدون إقهار وغزو ، لن يكون هناك أرستقراطية[١] . هلم معى لإنهاء المفاوضة فى معسكرى .

أندرسن : طوع أمرك ، ياسيدى . (إلى ريشارد) هل تتكرم يا بنى ، بأخذ جوديث إلى المنزل . (يسلمها إليه) الآن ، يا سعادة الجنرال (خطو وحبة السوق بسرعة متجها نحو المجلس الملحق ؛ تاركا جوديث وريشارد معا . يتبعه برجوين خطوة أو اثنين ، ثم يقف ويلتفت إلى ريشارد) .

(١) يقول هـذا لأن الطبقة الارستقراطية فى انجلترا من سلالة النورمانديين الذين أتوا وغزوا انجلترا سنة ١٠٦٦ م .

برجوين : أه، بهذه المناسبة ، يا مستر دادجين ، أكون مسرورا إذا تناولت الغذاء معي الساعة الواحدة والنصف.(يقف برهة ثم يستمر في الكلام بدهاء يغطيه الأدب والظرف) أحضر معك مستر أندرسن إذا تكرمت . (إلى سوندن، الذي حير من الغيظ) فلتقبل هنا بهدوء ، يا ماجور سوندن : إن في استطاعة صديقك الجندي البريطاني أن يتحمل أي شيء إلا وزارة الحربية البريطانية . (يتبع أندرسن)

الجاويش : (إلى سوندن) ما هي الأوامر ياسيدي ؟

سوندن : (في خشونة) أوامر ! ماجدوى الأوامر الآن ! لم يعد هناك جيش . ارجعوا إلى المعسكرات ، والله يلعن ... (يتحول ويذهب) .

الجاويش : (بحماس ووطنية ، لا يريد أن يقبل فكرة الهزيمة) انتباه . الآن ارفعوا ذقونكم ، وأروهم أنكم لا تكترثون بهم مطلقاً . كتفاً سلاح ! أربعة كون ! در ! و بسرعة سر !

(تقرع الطبول بصوت متناسق عال ؛ تعزف الموسيقى نشيد الحرس البريطاني . ويسير الجاويش ، وبردغل ، والجنود الانجليزية بكبرياء للمعسكراتهم . يضغط الجمهور

من الخلف ، ويتبعونهم في رحبة السوق ساخرين هازئين !
تعزف موسيقى البلدة النشيد الوطني « يانكي دودل » .[١]
إسى ، وقد أتت معهم ، تجرى إلى ريشارد) .

إسى : آه ، ديك !

ريشارد : (بلطف ، ولكن في عزم) الآن ، الآن : على ، على ! أنا لا يهمنى أن أشنق ، لكنى لا أحب أن يبكى من أجلى أحد .

إسى : أعدك بألا أبكى سأكون بنتا طيبة . (تحاول أن تكفكف دمعها ، ولكنها لا تستطيع) أنا ... أنا أريد أن أرى أين تذهب الجنود . (تسير قليلا في رحبة السوق ، متظاهرة أنها ترقب الجمهور) .

جوديث : عدني أنك لن تخبره أبدا .

ريشارد : لا تخافي .

(يتعاهدان على ذلك بأن يتصافحا) .

إسى : (صائحة نحوها) إنهم راجعون . إنهم يقصدونكما .

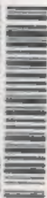
(علامات النصر متجلية في السوق . يندفع أهل البلدة ثانية في حماس بموسيقاهم ، يحملون ريشارد على أكتافهم ، هاتفين له) .

(١) يانكى دودل « Yankee Doodle » هو النشيد الوطنى الامريكى.

استدراك

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٤	وستر بردج	ويستو بردج
٦٦	١١	مطقة	ملقة
٧٠	٩	مسز نادجن	مسز أندرسن
١٣٣	٣	يرتر	يتر




Bibliotheca Alexandrina
0886828